

عالم الخلق وعالم الأمر
بين التصور الديني وفلسفة الوجود

دكتور/

سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

أستاذ مشارك كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الجامعة القاسمية- الإمارات العربية المتحدة

١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م





عالم الخلق وعالم الأمر بين التصور الديني وفلسفة الوجود

سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي

قسم العقيدة والفلسفة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة – جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: Sonia.lotfy@azhar.edu.eg

الملخص:

بناء على رؤية دينية وفلسفة متكاملة جاء منهج تقسيم الوجود الممكن إلى عالمين: عالم الخلق وعالم الأمر؛ يختص كل واحد منهما بما يميزه تصورًا ووجودًا عن الآخر، مع عدم افتراض انفصال بينهما – فتكونت بناء على ذلك– نظرة كلية مترابطة للوجود، اشتركت فيها كثير من التوجهات الفكرية على مدار الفكر الإنساني؛ من مفسرين ومتكلمين وعرفاء وفلاسفة. وقد ترتب على هذه الرؤية حل لكثير من الإشكالات الفكرية التي يصعب حسم الخلاف فيها إلا من خلال هذا التصور للعلاقة بين عالمي الخلق والأمر. وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة: الفصل الأول: الخلق والأمر: التأصيل المفاهيمي. الفصل الثاني: عالما الخلق والأمر وتصور مراتب الوجود. الفصل الثالث: ما ترتب على التمييز بين عالمي الخلق والأمر. ثم الخاتمة: التي اشتملت على أهم نتائج البحث.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التاريخي – النقدي – المقارن).

النتائج: أن التصور الكلي للوجود وانقسامه إلى خلق وأمر يحقق الرؤية القرآنية التي تبين مكانة الإنسان في الحياة الدنيا ومهمته فيها، وتؤصل



لفكرة الحدوث التي هي مبدأ الإيمان بوجود الخالق سبحانه وتعالى، وتعلق الأكوان به وافتقارها إليه في مبدأها وحياتها ومعادها، كما أن في هذا المنهج حل لكثير من الإشكالات الفكرية، وأهمها: وجود الإنسان في عالم الخلق لا يتنافى مع حقيقة ارتباطه بعالم الأمر، حل إشكالية خلق القرآن الكريم، وكذلك فهو مدخل للحُكم بالإمكان على المعجزات وخوارق العادات.

التوصيات: فتح باب التطبيق لمناهج التراث الإسلامي سيما الكلامي والفلسفي التي تساعد على حل الإشكالات الفكرية الحالية والطارئة.

الكلمات المفتاحية: الخلق والأمر، خلق القرآن، الوجود الظلي، إمكان المعجزات.

The world of creation and the world of the matter between religious perception and the philosophy of existence

Sonia Lotfi Abd El , Rahman Al , Halbawi

Department of Doctrine and Philosophy Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Cairo - Al-Azhar University

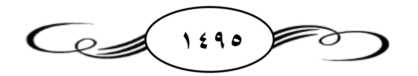
E-mail: Sonia.lotfy@azhar.edu.eg

Abstract :

Based on a religious vision and an integrated philosophy, the approach of dividing the possible existence into two worlds: the world of creation and the world of matter; This vision has resolved many intellectual problems in which disagreement is difficult to resolve except through this perception of the relationship between the two worlds of creation and order. The research was divided into an introduction, three chapters, and a conclusion: Chapter ١: Creation and Command: Conceptual Rooting. Chapter ٢: The World of Creation and Command and the Perception of The Ranks of Existence. Chapter ٣: The distinction between the two worlds of creation and order. Then the conclusion: which included the most important search results.

Approach: In this research, I followed the integrative approach (inductive- historical- critical - comparative).

Results: The total perception of existence and its division into creation and something that achieves the Qur'anic vision that shows the place of man in the world life and its mission in it, and relates to the idea of happening, which is the principle of faith in the existence of the Creator



Almighty, and the attachment of universes to it and its lack of it in its principle, life and enemies, and in this approach a solution to many intellectual problems, the most important of which is: the presence of man in the world of creation is not contrary to the fact that he is associated with the world of the order, solve the problem of creating the Holy Quran, as well as it is an entry point for judgment on the possibility of judgment on the possibility of judgment. Miracles and paranormal habits.

Recommendations: Opening the door to application of the approaches of Islamic heritage, especially verbal and philosophical, which help to solve current and emergency intellectual problems.

Keywords: Creation and Command, The Creation of the Qur'an, Shadow Existence, The Possibility of Miracles

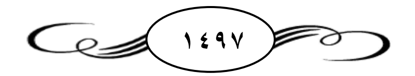
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالق السماوات والأرض وما فيهن، منزل أمره بينهن لنعلم بإحاطة قدرته وشمول علمه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين خير البرية ومجلى الأسماء الإلهية، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار..

أما بعد،،

فإن النظرة الكلية للوجود من متطلبات الفطرة الإنسانية، ومما لا شك فيه أن الحديث عن تصور ثابت لتراتب الموجودات وظهورها في حيز الوجود الحادث، ودوام افتقارها إلى الخالق في كل مرتبة وجودية، يحتاج مع إعمال الفكر والنظر إلى الإرشاد الإلهي لإدراك حقيقة الصلة بين العالم الطبيعي وبين ما سواه مما يتعذر على الحواس إدراكه. وقد أحكم علماء العقيدة منهج البحث فيما لا يدرك بالحواس مما جاء به الوحي الإلهي، بقصر طريق إثبات السمعيات، أو ما يعرف بالغيبيات على مصدر علمنا بها وهو الوحي. وهم مع ذلك لم يغلقوا على هذه السمعيات باب الاستدلال العقلي؛ إذ العقل لو لم يُضفِ على كل هذا وصف الإمكان لما أمكن للمدركات الإنسانية الترقي إلى مرتبة التسليم المطلق لما ليس لها أن تتصور حقيقته، بل وتشتاق إليه، مع تيقنها بأنها لن تنال تمام حقيقته حال تلبسها بالمادة وتعلقها بالمحدثات.



دواعي تقسيم العالم إلى خلق وأمر عند القائلين بذلك:

ففي الوقت الذي يتفق فيه التصور الديني مع النظرة الفلسفية للوجود في تقسيم العالم إلى شهادة وغيب نجدنا أمام دعوة فطرية، وتوجيه إلهي، وإلحاح عقلي لتصور حقيقة الترابط والصلة بين العالمين؛ فبتحقق الوصال بينهما يتم للإنسان معرفة ذاته، والتنبه إلى علاقة وجوده الحادث بواجب الوجود الأزلي الباقي. فمن مهمات الإنسان إدراك مكانه في دائرة الوجود الكلي، والتعرف على حدود فعله الذي لا يمكن إلا أن يسير بمعية الفعل الإلهي؛ كما يقول تعالى منبهًا نبيه صلى الله عليه وسلم إلى عدم استقلال الفاعل الحادث بالتأثير في العالم المخلوق: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧] فما كانت رميتك الداخلة في حيز الإمكان بمصيبة وحدها دون ترجح متعلق الإرادة وفق الأمر الإلهي، ولكن أمر الله نفذ بانفكاك تعلقات الأسباب، فيحصل برميتك الحادثة، بنفاذ الأمر الإلهي، ما لا يحصل بمثيلاتها. فعالم المحدثات بما فيه خاضع لقوانين وأسباب لا يمكن خرقها إلا بأمر إلهي ووفق سنن شرعها الباري عز وجل واختص بها خيرة خلقه. وليس معنى سريان هذا العالم وفق قوانين معلومة سُنت لتنظيم حياة المخلوقات، أنه قائم بذاته منفصل عن الأمر الإلهي؛ فقد أعلمنا المولى عز وجل بنفاذ أمره في ملكوته دون افتقارٍ إلى أسباب أو تعلقٍ بصور: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] ولا يتم إدراك هذا بالنظر من جهة العالم الحادث، بل من استحضار فاعلية الأمر الإلهي في جميع العوالم: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: ٨٣]

من هنا بدأ وضع تصور لتقسيم الوجود الممكن إلى عالم الخلق وعالم الأمر؛ يختص كل واحد منهما بما يميزه تصورًا ووجودًا عن الأخر، مع عدم افتراض انفصال بينهما؛ إذ يكون أحدهما مظهرًا لتحقق ما في الأخر من معاني وتعلقات، فيكون منه كالظل من أصله، حيث تعلقت المشيئة الإلهية بمد الظل وإظهار شيء من أثار سعة الأمر الإلهي غير المرتبط بالأسباب والقوانين الخَلقية. وقد مد الله الكون بأدلة نورانية تجلت في عالم الخلق في صور جسمانية تربطها به روح كلية يسير بها الوجود وفق الإرادة الإلهية التي تتنزل إلى عالم الصور بقدر معلوم محكوم. وقد استند أصحاب هذه الرؤية إلى بعض الآيات القرآنية التي تميز بين الخلق والأمر من حيث التصور المفاهيمي، كما في قوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤]، أو من حيث المرتبة الوجودية التي يختص بها كل واحد من العالمين كما في قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} [لقمان: ١١]، وقوله عز وجل: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥] فتكونت نظرة كلية مترابطة للوجود، اشتركت فيها كثير من التوجهات الفكرية على مدار الفكر الإنساني؛ من مفسرين ومتكلمين وعرفاء وفلاسفة، تقاربت تصوراتهم للعالمين سواء في المصطلح أو في المنهج.

إلا أن أبرز ما دعاني للبحث في هذا الموضوع:

هو ما ترتب على هذه الرؤية من حل لكثير من الإشكالات الفكرية التي يصعب حسم الخلاف فيها إلا من خلال هذا التصور للعلاقة بين عالمي الخلق والأمر، ذكرت أشهرها في الفصل الثالث من هذا البحث، والمجال متسع لتطبيق هذا المنهج في حل إشكالات فكرية حالية أو طارئة، سيما

وأن لهذه الرؤية سندًا من القرآن ومن الرؤية الدينية الفلسفية في التراث الإسلامي.

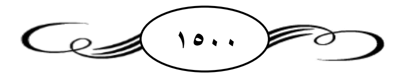
المنهج المتبع في البحث:

قد حرصت على استخدام المناهج التالية:

- المنهج الاستقرائي في حصر معاني كل من الخلق والأمر في اللغة وفي القرآن الكريم.
- وأضفت إليه المنهج التاريخي في التفتيش عن أصحاب هذه الرؤية على أصعدة متنوعة داخل التراث الإسلامي.
- كما قد أفادني المنهج النقدي في الكشف عن مدى موضوعية التمييز بين العالمين، وما ترتب على كل منهج من نتائج تتفق مع المسلمات العقلية والدينية أو تختلف معها.
- كما أن المنهج المقارن قد ساعدني على تصنيف أصحاب هذه الرؤية حسب الدواع والنتائج التي توصل كل منهم إليها.
- بالإضافة إلى المنهج الاستنباطي الذي استعنت به في استكشاف حلول لإشكالات فكرية وعقدية لم تكن لتنضبط بطريقة منهجية إلا من خلال عرضها على هذا التصور الديني الفلسفي للوجود.

وتحقيقًا للغاية المرجوة من هذا البحث تم تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة:

- **المقدمة:** التي اشتملت على: أهمية الموضوع – وارتباط الحاجة إليه بالعقيدة وضبط الفكر الديني بشكل عام – وعلى دواعي تقسيم العالم



إلى خلق وأمر عند القائلين بذلك – وكذلك اشتملت على المناهج المستخدمة في البحث، ومحتوياته.

- **الفصل الأول:** الخلق والأمر: التأصيل المفاهيمي، ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: الخلق والأمر في الاشتقاق اللغوي

المبحث الثاني: الخلق والأمر في القرآن الكريم

- **الفصل الثاني:** عالما الخلق والأمر وتصور مراتب الوجود، ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة العالم وانقسامه إلى خلق وأمر

المبحث الثاني: خواص عالم الخلق وما فيه

المبحث الثالث: خواص عالم الأمر وما فيه

المبحث الرابع: العلاقة بين عالمي الخلق والأمر

- **الفصل الثالث:** ما ترتب على التمييز بين عالمي الخلق والأمر، ويشتمل على مدخل وأربعة مباحث:

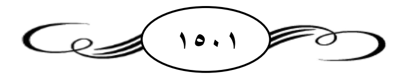
المبحث الأول: عالم الخلق ظل لعالم الأمر

المبحث الثاني: الإنسان من عالم الخلق أم من عالم الأمر؟

المبحث الثالث: القرآن الكريم غير مخلوق

المبحث الرابع: إمكان المعجزات وخوارق العادات

- **ثم الخاتمة:** التي اشتملت على أهم نتائج البحث



واللهَ سبحانه وتعالى أسأل أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يعفو عما ورد به من ذلل أو تقصير.

وصلِ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،

الفصل الأول

الخلق والأمر: التأصيل المفاهيمي

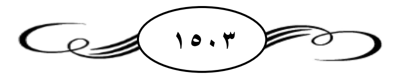
المبحث الأول:

الخلق والأمر في الاشتقاق اللغوي:

الخَلْقُ في اللغة: مشتق من خَلَق، وأصل الخلق: التقدير، يقال: خَلَقْتُ الْأَدِيمَ لِلسِّقَاءِ، إِذَا قَدَرْتَهُ، وخلق الخرّاز الأديم، والخيّاط الثوب: قدّره قبل القطع. والخالق: هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، ويقال: خَلق اللَّهُ الشَّيْءَ يَخلُقه خَلْقًا، أحدثه بعد أن لم يكن. والخَلْق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه. وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] [١]، والخالق، الذي هو من صفاته تعالى: المبدع للشيء، المخترع على غير مثال سبق.[٢]

[١] – انظر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط:٣- ١٤١٤هـ، ٨٥/١٠، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت ١٨٠/١، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١-١٩٩٨م، ٢٦٤/١

[٢] – انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:٨- ٢٠٠٥م، ص ٨٨٠



ويستخدم التقدير الذي يُفسَر به الخلق في اللغة بمعنى: المساواة بين شيئين يقال: خَلَقت النعلَ إذا قدرته فأُطلق على إيجاد شيء: أي على مقدار شيء سبق له الوجود.

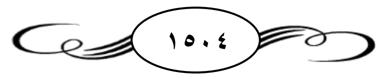
ويأتي الخلق بمعنى: الجمع، يقال: خلقت هذا على ذاك: إذا قطعته على مقداره ومنه: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} [النحل: ١٧]؛ ولهذا يرد الخلق بمعنى: إيجاد الشيء على تقدير، أي مشتملًا على تعيين قدر كان ذلك التعيين قبل ذلك الإيجاد، ومشتملًا على استواء الموجب للمعين في القدر. فكما يجعل الفعل مساويا للمقياس يجعل الخالق مساويا لما قدره في علمه ولا يخالف الموجب المقدر في العلم[1]؛ ولذلك يُفسَر الخالق من صفاته تعالى بالمبدع للشيء، المخترع على غير مثال سبق، أو هو كما قال الأزهري: الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، فهو باعتبار ما منه وجودها مُقَدِّرٌ، وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالِقٌ.[2]

فالخلق في اللغة يأتي على معنيين: الإبداع على غير مثال سابق، وإيجاد شيء على مقدار شيء آخر سبق له الوجود. فيطلق الخلق ويراد به الابتداء في الإيجاد وهو الإبداع، أو الإيجاد على مقدار شيء سبق له الوجود.

---

[1] – انظر: أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص:٤٣٠ تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

[2] – مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية ٢٥١/٢٥



الأَمْر في اللغة: الأَمر بالفتح ثم السكون يرد في كلام العرب مشتقًا من: أَمَرَ على وزن فَعَل، والجمع: أوامر، وهو ضد النهي، أَمَرَه بِهِ وأَمَرَهُ،[1] ويرد مشتقًا من مصدر أمرت الشيء إذا كَثَّرَته، قال الله تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} [الإسراء: ١٦]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ)[2]، ومأمورة أي كثيرة النتاج؛ فالعرب تقول: " أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم."[3] ومنه حديث ابن مسعود: (كنا نقول في الجاهلية: أَمِرَ بَنو فلانٍ، أَي كَثُرُوا، وأَمِرَ الرجل فهو أَمِرٌ: كثرت ماشيته، وقال أبو الحسن: أَمِرَ بَنو فلانٍ: كَثُرَتْ أَموالُهم.[4]

والأَمْرُ الذي هو واحد الأمور يرد بمعنى: الحال، أو الشأن، يقال: أَمْرُ فلانٍ مستقيمٌ وأُمُورُهُ مستقيمةٌ. ويرد بمعنى: الحادثة، فيطلق الأمر على كل

---

[1] – انظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط:٥-١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص:٢١، جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ، ٢٦/٤، مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٦٨/١٠

[2] – انظر: تقيّ الدين، الدقيقي المصري: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار – الأردن، ط:١- ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص:٢٣٢. والحديث المذكور أخرجه أحمد في مسنده (١٥٨٤٥) ١٧٣/٢٥، والحارث في مسنده (٤٢٢) ب: فيما يقتنى من المال (٤٨٨/١)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٤٧٠) ب: سويد بن هبيرة (٩١/٧) عن سويد بن هبيرة بلفظ: «خير مال المرء له مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة»

[3] – فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣- ١٤٢٠هـ، ٣١٤/٢٠

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس ٧٢/١٠



حدث يحدث وكل قصَّة تقع، يقال: وقع أمر عظيم، أي حادثة، ولا يكسر على غير ذلك. وفي التنزيل العزيز: {أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى:٥٣]، وقوله عز وجل: {وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها}[١] [فُصِّلَتْ:١٢]

وهكذا وقع في مصنفات الأصول الفرق في الجمع الذي يتبع الفرق في المعنى، فقالوا: الأمر إذا كان بمعنى ضد النهي فجمعه أوامر، وإذا كان بمعنى الشأن فجمعه أمور، وعليه أكثر الفقهاء، وهو الجاري في ألسنة الأقوام.[٢]

فوجوه الأمر المستعملة في كلام العرب: هي الطلب، والحال أو الشأن، والتكثير، ويرد في القرآن على معان أُخَر، لكنها في أَصل الاشتقاق راجعة إلى واحد من المعاني المذكورة، كما سيتضح.

---

[١] - انظر: أحمد علي الفيومي الحموي، أبو العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت ٢٢/١، تاج العروس من جواهر القاموس ٦٨/١٠، تقيّ الدين، الدقيقي المصري: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار – الأردن، ط:١، ١٩٨٥م، ص ٢٣٢

[٢] - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٦٨/١٠



المبحث الثاني:

الخلق والأمر في القرآن الكريم

معاني الخلق الواردة في القرآن الكريم:

الخَلْق، المشتق من الفعل الثلاثي: خَلَقَ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة:

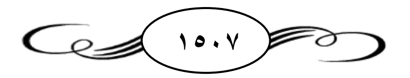
١. فيأتي متعديًا بنفسه بالصيغ التالية:

– الفعل الماضي (خَلَقَ): كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة: ٢٩]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام: ١]، {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف: ٥٤]

– والفعل المضارع المبني للمعلوم (يَخلُقُ، تَخْلُقُ، أَخْلُقُ، تَخْلُقُونَ، يَخْلُقُونَ) كما في قوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران: ٤٧]، {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} [المائدة: ١١٠]، {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} [آل عمران: ٤٩]، {أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [الواقعة: ٥٩]، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا} [الفرقان:٣]

– المضارع المبني للمجهول (يُخْلَقُونَ) كما في قوله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف: ١٩١]، {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [النحل: ٢٠]

٢. ويأتي متعديًا بواحد من أحرف الجر التالية:



– فيأتي متعديًا بالباء:

○ الجارة لوصف الحق، كما في الآيات الواردة في الإخبار عن خلق السماوات والأرض وما بينهما: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [الأنعام: ٧٣]، {مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} [يونس: ٥]، {مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الروم: ٨]، {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [العنكبوت: ٤٤]

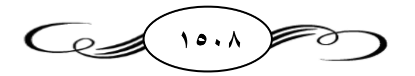
○ أو بالباء مع مجرور آخر، وذلك في الآيات: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥]، {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩]

– ويأتي متعديًا بمِنْ مصحوبة بواحد من المجرورات التالية:

○ (النفس) كما في الآيات: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١]، {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الأعراف: ١٨٩]، {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الزمر: ٦].

○ (الماء) كما في الآيات: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} [النور: ٤٥]، {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا} [الفرقان: ٥٤]، {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات: ٢٠].

○ (التراب، ثم من النطفة، ثم من مراتب الخلق الأخرى) كما في الآيات: {أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} [الكهف: ٣٧]، {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ} [الحج: ٥]، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} [فاطر: ١١].

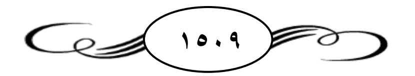


- (الطين، أو صلصال كالفخار، أو حمأ مسنون) كما في الآيات: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصافات: ١١]، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: ١٤]، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦].
- (النار) إذا كان الحديث عن الجان، وذلك في الآيات: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: ١٥]، {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر: ٢٧]، {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [ص: ٧٦].
- (من عَجَل) في قوله تعالى: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧].
- (من ضعف) في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} [الروم: ٥٤].

ومعاني الخلق في الاشتقاقات المذكورة لا تبعد عن المعاني الواردة في الاستعمال اللغوي كما سبق:

فالخلق الوارد بصيغة المصدر في الآيات المتعددة يفسر:

- إما بمعنى العالم المادي؛ السماوات والأرض وما بينهما، ويرد عند ذكر البدأ والإعادة، وقدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق بداية، وعلى الإعادة بعد الإيجاد، كما في قوله تعالى: { إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ } [يونس: ٤]، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} [المؤمنون: ١٧]، {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [العنكبوت: ١٩]، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء:



١٠٤]، {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق: ١٥]، {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [لقمان: ١١]

- أو بمعنى الهيئة أو الصورة الحاصلة من التكوين المادي، كما في قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} [الأعراف: ٦٩]، {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر: ١]، {فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} [النساء: ١١٩].

والخلق الوارد بصيغة الفعل يفسر بمعنى: الإيجاد والإبداع " ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، أي أبدعهما؛ بدلالة قوله: {بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}"[1] وهو بهذا المعنى لا يستعمل إلا للخالق سبحانه وتعالى.

ويستعمل كذلك "في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ}، {خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ}، {خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ}، {خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ}"[2] والخلق بهذا المعنى يرد مضافًا إلى المولى عز وجل، وكذلك يرد مضافًا إلى غيره، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام: { أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } [آل عمران: ٤٩]، {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} [المائدة: ١١٠].

[1] – إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ط: ١٤٠٥، ١٧٦/٨، وانظر: إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر – بيروت، ٣٩٥/٥

[2] – الموسوعة القرآنية ١٧٦/٨



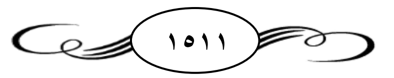
معاني الأمر الواردة في القرآن الكريم:

ورد الأمر في القرآن الكريم بإضافات ونسب متعددة، تواردت على عدة معاني، فسرها البعض حسب السياق فأوصلها إلى أربعة عشر معنى: " الْأَوَّلُ: الدِّينُ، وَمِنْهُ: {حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ}، الثَّانِي: بِمَعْنَى الْقَوْلِ، وَمِنْهُ: {فَإِذا جاءَ أَمْرُنا}، الثَّالِثُ: الْعَذَابُ، وَمِنْهُ: {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ}، الرَّابِعُ: عِيسَى، وَمِنْهُ: {فَإِذا قَضى أَمْراً}، أي: أوجد عيسى عليه السَّلَامُ. الْخَامِسُ: الْقَتْلُ، وَمِنْهُ: {فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ} السَّادِسُ: فَتْحُ مَكَّةَ، وَمِنْهُ:{ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}، السَّابِعُ: قَتْلُ بَنِي قُرَيْظَةَ وإجلاء بني النَّضِيرِ، وَمِنْهُ: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}، الثَّامِنُ: الْقِيَامَةُ، وَمِنْهُ: {أَتى أَمْرُ اللَّهِ}، والتاسع: الْقَضَاءُ، وَمِنْهُ: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}، الْعَاشِرُ: الْوَحْيُ، وَمِنْهُ: {يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}، الْحَادِي عَشَرَ: أَمْرُ الْخَلَائِقِ، وَمِنْهُ: {أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}، الثَّانِي عَشَرَ: النَّصْرُ وَمِنْهُ: {هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ}، الثَّالِثَ عَشَرَ :الذَّنْبُ، وَمِنْهُ {فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها}،الرَّابِعَ عَشَرَ: الشَّأْنُ، وَمِنْهُ: {وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}"[1] والحقيقة أن هذه المعاني في أغلبها وصف لخصوص متعلق السياق الوارد فيه لفظ الأمر، وليس تفسيرًا للأمر في حد ذاته؛ لذلك يقول الشوكاني معقبًا على تعدد المعاني الوارد لدى بعض المفسرين: "هكذا أورد هذه المعاني بأطول من هذا بعض المفسرين، وليس تحت ذلك كثير فائدة، وإطلاقه على الأمور المختلفة لصدق اسم الأمر عليها."[2]

---

[1] – محمد بن علي الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ، ١/١٥٥-١٥٦

[2] – فتح القدير ١/١٥٦

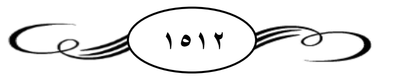


والمستقرئ لآيات القرآن الكريم الوارد بها لفظ الأمر يجده يتوارد على خمسة معاني:

١. الأول: الطلب الوجوبي: وهو داخل فيما يعبر عنه في بعض صيغ الطلب – باشتقاقاتها المتعددة – بـ (الأمر التكليفي)، كما في الآيات: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} [الرعد: ٢٥]، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} [النور: ٦٣]، {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف: ٢٩]، {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ: ١٢]، {حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: ٩]، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: ٩٠].

٢. الثاني: الطلب الإيجادي: وهو داخل فيما يعبر عنه في بعض صيغ الأمر بالإيجاد والإحداث بـ (الأمر التكويني)، كما في قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: ٥٠]؛ أي: "وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكوّنه إلا قولة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادّة {كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} يقول جلّ ثناؤه: فيوجد ما أمرناه وقلنا له: كُنْ كسرعة اللمح بالبصر لا يُبطئ ولا يتأخر"[1]، وقوله جل ثناؤه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]؛ أي: " فكما أن أمره إذا أراد شيئا، أي إنشاء ذات أن يقول له: كن، فيكون. كذلك أمره إذا أراد اقتران معنى بذات أو جنس

[1] – محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١/٢٠٠٠م، ٦٠٧/٢٢، وانظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:١/٢٠٠٢م، ١٧١/٩



أن يقدر حصول مبدأ ذلك المعنى عند تكوين أصل ذلك الجنس أو عند تكوين الذات"[١]، وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق: ١٢]؛ يعني: "التكوين، ووجه ذلك: أنه لا يخلو مكان في السماوات والأرض في كل وقت من مُكَوّنٍ يكونه الله تعالى، أو مُحْدِث يُحدثه، وذلك قوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)؛ فيجوز أن يكون المراد بالأمر في قوله: (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ): أمر التكوين"[٢] فهو الأمر الذي يحصل به الإيجاد والتكوين، لجميع المحدثات؛ " فمعنى الآية يتنزل أمر الله بالإيجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وأرض من جانب العرش العظيم أبدًا دائمًا لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقًا في الدنيا والآخرة فيفنى ويعدم عوالم ويوجد ويظهر عوالم أخرى لا نهاية لشؤونه"[٣]

٣. الثالث: الحال والشأن: ويرد هذا في الأمر المصدري إذا تعلق بغير الله تعالى؛ كما ورد في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق:٤]؛ أي: " يجعل له من أمره العسير في نظره يسرًا بقرينة جعل اليسر لأمره."[٤]

[١] – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، ٤٠٠/١، وانظر: أبو منصور الماتريدي: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط:٢٠٠٥/١، ١٤٦/٦

[٢] – تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١٠/ ٧٣

[٣] – روح البيان ١٠/ ٤٦

[٤] – التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٢٤

وذلك يأتي – كما ذكر الإمام فخر الدين الرازي – متوافقًا مع ما ورد في اللغة من استعمال الأمر بمعنى الشأن والطريقة والفعل[١] قال تعالى: {فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ} [هود: ٩٧]؛ أي شأنه وحاله[٢]، حتى اتخذوه إلها، {وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود: ٩٧].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الأمر بمعنى الشأن يشمل ما فوق شأن وحال المحدثات، لذلك فُسر الأمر بالشأن مع عود الضمير عليه تعالى في مثل قوله عز وجل: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا}، فالمراد "بالأمر هو الشأنُ الشاملُ للقول والفعل"[٣] فيدخل في الشأن معنى الإيجاد، كما في هذه الآية. ويدخل فيه كذلك ما يسع مُتعَلقه الوارد في سياق الآيات؛ مثل تفسيره بمعنى العذاب، أو الساعة، أو الموت، أو الهلاك في الآيات: {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ} [الأنعام: ٥٨]، {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} [الأنعام: ٨]، {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل: ١].

٤. الرابع: القضاء ومرتبة العلم الإلهي: كما في قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} [السجدة: ٥]؛ قال ابن عباس في معنى الأمر في الآية الكريمة: "ينزل القضاء والقدر."[٤] وقال مقاتل:

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٩٧/١٠

٢ – انظر: شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢/١٩٦٤، ٩٣/٩

٣ – أبو السعود العمادي: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١١٥/٥

٤ – تفسير القرطبي ١٤/ ٨٦



"يدبر الأمر: يقضي القضاء وحده لا يدبره غيره"[1]، وقال السمرقندي: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يعني: يقضي القضاء وينظر في تدبير الخلق."[2] وقال البغوي: "يدبر الأمر، أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، من السماء إلى الأرض"[3]، ومن الآيات التي يفسر فيها الأمر بمعنى القضاء في أكثر التفاسير، قوله تعالى: {وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة: ٢١٠]، وقوله عز وجل: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } [الإسراء: ٢٣]، وقوله جل شأنه: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: ٣].

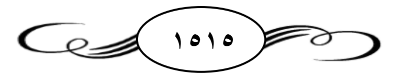
٥. العالم المنزه عن الجرمية والزمان والمقدار: وهو المسمى لدى البعض بعالم الأمر في مقابل عالم الخلق المتعلق بالمدة والمادة، واستند أصحاب هذا الفهم إلى بعض آيات من القرآن الكريم التي تصف هذا العالم بالتجرد عن المادة والزمان، وتضيف إليه ما هو خارجهما، مثل قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥]، وقوله جل شأنه: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]؛ ويستدلون على ذلك أن القرآن الكريم مَيَّز بين الخلق والأمر، وخص الأمر في كثير من الآيات بما لا يتعلق

---

[1] – أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط:١/١٤٢٣هـ، ٢/ ٢٢٦

[2] – نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: تفسير السمرقندي – بحر العلوم ٢/ ١٠٣

[3] – الحسين بن مسعود البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:١/١٤٢٠هـ، ٣/ ٥٩٤



بالمحسوس، وما ينشأ في غير زمان وبغير تراتب نشأة المخلوقات التي من عالم الحس.

ومن هذه الجهة نشأت فكرة تقسيم العالم إلى عالم الخلق وعالم الأمر، وأن لكل منهما خصائص ولوازم، سنتعرض لها بمشيئة الله تعالى في المباحث التالية.

الفصل الثاني

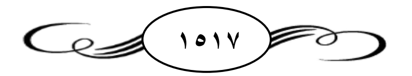
عالما الخلق والأمر وتصور مراتب الوجود

تمهيد:

إن كلًا من إشارات القرآن الكريم، والواقع المعرفي لحقيقة الوجود يعطينا تصورًا واضحًا عن وجود عالم مخلوق، مفتقر في وجوده واستمراريته وتحقق غايته إلى فاعل مختار، هذا العالم المخلوق مع كونه علامة مرشدة إلى الخالق، فإنه بوصفه المخلوق لا يمكن حصره في هذا العالم المشاهد المحسوس؛ فكما أعلمنا الله سبحانه بنشأتنا وخلقنا، نبهنا على وجود ضرب آخر من الموجودات، ليست داخلة في حيز الإدراك المادي، ولا تابعة لقوانين الحس واعتباراته المقتضية لتحقق غاية ذلك الضرب من الوجود على النحو المراد.

هذه الحقيقة الدينية، والمسلمة الواقعية اقتضت التمييز بين ضربين من الموجودات كلاهما يتصف بالحدوث، أحدهما مشاهد محسوس، والآخر لا يمكن إدراكه عن طريق الحواس. ولغياب الثاني عن الإدراك الحسي، تعددت الأفهام في تصوره، وفي طبيعة علاقته بالخالق؛ من جهة، وبالعالم المادي من جهة أخرى.

وجرت حول ذلك العديد من التساؤلات والتصورات: من كون هذا العالم مخلوقًا بقوانين الخلق التي للعالم المحسوس، أم أنه اختص بقوانين أخرى؟ وإذا كان لا يدرك بالحواس فما هي وسيلة إدراكه؟ وما مدى ضرورية إدراك حقيقته؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي أدت إلى تكوين رؤى وجودية حول تصور العوالم الحادثة، وعلاقتها



بالخالق جل وعلا؛ ومنها تقسيم العالم إلى عالم الخلق وعالم الأمر، وما ترتب على هذا التقسيم من تصور كامل لحقيقة الوجود ومراتبه. فلنتعرف على منشأ هذا التقسيم ولوازمه في المبحثين التاليين:

المبحث الأول

حقيقة العالم وانقسامه إلى خلق وأمر

بيان حقيقة العالم:

العَالَم: بفتح اللام في اللغة اسم لما يُعلَم به الشيء، مشتقّ من العلم والعلامة على الأظهر، وهو اسْمٌ بُنِيَ عَلَى مِثَّالِ فاعَلٍ كخاتم لما يختم به وطابع لما يطبع به، ويجمع على العَوالِم، وَفِي التَّنْزِيلِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢].[١]

ثم غلب إطلاق العالَم على كل ما سوى الله عز وجل[٢]، وما وجوده ليس من ذاته[٣]، والمعبر عنه بالوجود الممكن. وسمي عالَمًا؛ لأن اشتقاق العالم من العَلَم فكل ما كان علما على الله ودالًا عليه فهو عالم، ولا شك أن كل محدث فهو دليل على الله تعالى فكل محدث فهو عالم.[٤] وقد فرق الفلاسفة القدماء بين عالم العناصر الطبيعية، وهو العالم السفلي، أو عالم الكون

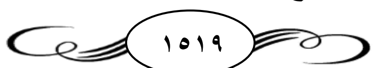
---

[١] – انظر: مختار الصحاح ص: ٢١٧، جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر بيروت، ط:٣/٤١٤ هـ، ١٢/٤٢٠، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/ ١١٥٧

[٢] – انظر: شرح المواقف ١/٢٩٦، تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٢/ ٤٧٥، ٢٤/٤٢٩، إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ٧/٧١

[٣] – انظر: نهاية الادراك في دراية الافلاك في الهيئة، للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي، نقلًا عن: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/ ١١٥٨

[٤] – انظر: تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢/٤٤٤



والفساد، وبين العالم العلوي المعروف بعالم العقول والنفوس والأفلاك[1]، وجعلوا لكل واحد منهما خصائص تميزه عن الآخر، مع عدم تصور الانفصال بينهما.

تقسيم العالم إلى خلق وأمر:

دعا الاستخدام القرآني للفظي الخلق والأمر إلى تكوين نظرة وجودية مبنية على تصور عالمين كلاهما موصوف بالحدوث: الأول يسمى بعالم الأمر؛ وهو مختص بمرتبة من الموجودات الحادثة التي لا يستطيع الإنسان إدراكها بحواسه الخمسة، ولا تخضع لقوانين الزمان والمكان، فهو: "عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز والدخول تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكَمية منه."[2] والثاني يسمى بعالم الخلق، الذي يدخل فيه كل ما هو في حيز الوجود الجرمي، ويخضع لقوانين الحس الظاهرة بما فيها الزمان والمكان والمساحة والمقدار، وغيرها، فإن: "كل ما يقع عليه مساحة وتقدير فهو الأجسام وعوارضها، فهذا هو عالم الخلق "[3].

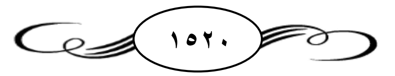
واعتمد هذا التصور على الآيات التي حُمل فيها الأمر بمعنى العالَم المنزه عن الجرمية والزمان والمقدار، فلا يدخل فيه المعاني الأخرى للفظ الأمر الواردة في القرآن الكريم – كما سبق – وذلك لأن الوصف بالحدوث يخرج به كل ما يتعلق بالذات الإلهية، وكذلك فإن تصور مرتبة وجودية

---

[1] – انظر: د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ٤٦/٢

[2] – الإمام أبو حامد الغزالي: معراج السالكين، مجموع الرسائل ص: ١٢٩

[3] – الإمام أبو حامد الغزالي: معراج السالكين، مجموع الرسائل ص: ١٢٩



صادرة عن الخالق جل وعلا لا يدخل فيها الفعل الذي يحتمل وروده على الطلب الوجوبي أو الإيجادي، بل هو اسم يطلق على هذا القسم من العالم الغائب عن المدركات الحسية.

وقد ورد هذا التقسيم لدى بعض المفسرين مثل: محمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، أبو إسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، وناصر الدين البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، ونظام الدين النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، وأبو السعود العمادي (ت٩٨٢هـ).

وكذلك لدى بعض الفلاسفة مثل: أفلاطون (ت٣٤٧ ق.م)، وفيثاغورث (ت٤٩٥ ق. م)، وابن سينا (ت٤٢٧هـ)، والفارابي (ت٣٣٩هـ)، وابن رشد (ت٥٩٥هـ)، وفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ).

ولدى بعض العرفاء، أمثال: أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، وأبو حفص شرف الدين عمر بن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ومحيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)، وصدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، وذلك في محاولات يختلف منشؤها وتتعدد نتائجها، إلا أنها تتفق في تصور انقسام ما سوى الله عز وجل من العالم إلى غيب وشهادة، أو أمر وخلق، بغية كشف مكامن الصلة الوجودية بين أجزاء هذا العالم، وعلاقتها بالأول سبحانه وتعالى، وتلمس مراقي الترقي من المحسوس إلى ما ورائه، سعيًا في تحصيل تصور كلي عن هذه الجوانب الغيبية من الإنسان ومن الوجود ككل، طلبًا للوصول إلى معرفة الخالق عز وجل، والاستئناس بكل ما هو منتمٍ إلى العالم الروحاني، والذي يعين النفس الإنسانية أن ترجع إلى مستقرها راضية، وتستشعر حضورها مما يدفعها إلى تحمل مشقات السير، وهي مطمئنة

بمعرفة باريها وعبادته، حتى تصبح مرضية بتحقق الوصول؛ فيكون مصيرها: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر: ٢٩، ٣٠].

المبحث الثاني:

خواص عالم الخلق وما فيه

لعالم الخلق الموصوف بما تقدم، خصائص تميزه عن عالم الأمر، وتجعله مقابلًا له. وأهم هذه الخصائص:

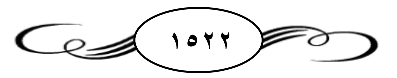
أولًا: عالم الخلق يفتقر إلى المادة والمدة:

لاشتماله على الأجسام والجسمانيات المركبة من المادة والصورة، القابلة للمساحة والتقدير، "فالخلق عبارة عن التقدير، وكل ما كان جسمًا أو جسمانيًا كان مخصوصًا بمقدار معين، فكان من عالم الخلق"[١] وهو المسمى بعالم المُلك، والشهادة، والناسوت، فكل ما يطلق عليه أنه من عالم الخلق يكون مُقَدَرًا بالكَمية والمساحة، ويكون منقسمًا متحيزًا؛ لافتقاره إلى الزمان والمكان والمادة، فـ: "كل ما كان من الخلقيات فهو مكاني وزماني ومادي، {مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ}، إشارة إلى المادة، {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ}، إشارة إلى الزمان؛ {فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}، إشارة إلى المكان."[٢] ولذلك يقال: إن أكثر عالم الخلق اقتضت الحكمة الإلهية خلقه على التدريج ولم يوجد دفعة واحدة لافتقاره إلى

---

[١] – تفسير الرازي – مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٧٢

[٢] – تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: مجلس في الخلق والأمر، المجلس ملقى ومدون بالفارسية، تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد علي آذرشب معتمدًا على النسخة المحققة للدكتور سيد محمد رضا جلالي نائيني، والمجلس ملحق بكتاب: تفسير الشهرستاني المسمى: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، ط:١/٢٠٠٨م، ٢/١٠٨١



السريان وفق الأسباب والسنن الكونية التي نظمها المولى عز وجل لانتظام أمر هذا الوجود على الوجه المراد: "وأما في عالم الخلق، ويسمى عالَم الحكمة، فجُلّه بالتدريج والترتيب، سترًا لأسرار الربوبية، وصونًا لسر القدرة الإلهية"[1] فطبيعة الحوادث تقتضي توسط المادة في بعض ظهوراتها، إذ يقول تعالى: {وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٨٥] وليس ذلك لحاجة الخالق، أو افتقاره إليها – تعالى الله عن ذلك – ولكن لطبيعة القوابل واستعداداتها، ولكونها حادثة فانية: "فكلما كان مخلوقًا بالوسائط كان قابلًا للفناء لكونه وسيلة إلى غيره."[2] من غير حاجة لله تعالى ولا مشابهة، كما قد يرد على الأوهام من تصور حصر الترتيب في الزماني والمادي، ولذلك ختمت الآية الكريمة بالتنبيه على التنزيه المُزيل لمثل هذا التوهم، فقال تعالى: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨]، ويقول تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} [فاطر: ١١]، {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} [النور: ٤٥]

ومن ثم يدخل في عالم الخلق كل ما هو حادث دنيوي، كما يقول الإمام أبو حامد: "اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة، والآخرة من عالم الغيب والملكوت."[3] فالسماوات والأرض بما فيهما من عالم الخلق، للتركب

---

[1] – أبو العباس أحمد بن محمد عجيبة الحسني الصوفي: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ ٥٣٦/٥

[2] –صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: أسرار الآيات، مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي، طهران، ص:١٠٥

[3] – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت ٢٣/٤



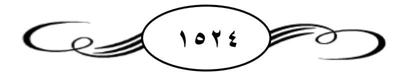
والجسمية. كما تشير الآيات: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام: ١]، {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة: ٢٩]، {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} [البقرة: ٢٢٨]. إلا أنه لا يمكن تصور عالم الخلق منفصلًا عن عالم الأمر؛ إذ وجوده به، وتعلق الخلق بالأمر تعلق البدن بالروح، والقوة بالتحقق والفعلية – كما سيأتي.

ثانيًا: عالم الخلق قوانينه ثابتة بإعلام الله تعالى:

فقد نظم الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسخره للإنسان بإعلامه إياه بقوانينه ومبادئه، {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩] وغرس فيه العلم اليقيني بثبات هذه الحقائق، {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠] وتعلق النتائج بمقدماتها، مع إرجاع الفعل في حقيقته وأصل تأثيره إليه سبحانه، {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢] ؛ ليطمئن الإنسان باطراد التأثير في الكون فيتم الاستخلاف والإعمار الذي به تحصل المعرفة وتتحقق الغاية؛ {فَاعْبُدُوهُ} [الأنعام: ١٠٢]؛ لأنه سبحانه لهذا خلقنا {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

ولتعلق القدرة الإلهية بكل فعل – إيجادًا أو تأثيرًا أو توسطًا على اختلاف التعبير – تنبيه من خالق هذه الأسباب إلى إمكان خرقها بتعلق الإرادة وفق حالات أعلمنا الله سبحانه بوقوعها بأمره وتحققها بفعله.

وفي إدراك هذه الخصيصة لعالم الخلق دقائق تُحَل بها الكثير من التساؤلات حول أفعال العباد، ومدى ثقة الإنسان بالأسباب الطبيعية، المُسَخَرة للإنسان طالما كان منتميًا إلى عالم الخلق، متحققًا فيه: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: ٤٣]، وفوق



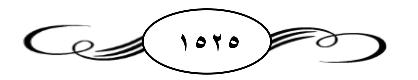
هذا فيه ربط للإنسان بخالقه الذي يَسَّرَ له سريان الأسباب في العالم غير منقطع التأثر به. فتتوافق عبادة الجوارح مع عبادة القلب واستحضاره للفعل الإلهي في جميع حركاته وسكناته.

وفي هذا إشارة إلى شيء من حكمة الباري سبحانه وتعالى من التوجيه الإلهي للإنسان للنظر في انتظام سريان قوانين الكون بقدرة الله وإرادته، وأنها دليل مباشر لأولي العقول المنتبهة على التحقق من وجود الخالق والتعلق به: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤] فقوانين عالم الخلق ثابتة باعتبار النظرة الإنسانية، مرتبطة بالمشيئة الإلهية المسيرة لكل ما في الكون، التي لا تنفك عن عالم الأمر في مبدأ وسير وغاية.

ثالثًا: عالم الخلق محل للشرور النسبية:

لما كان عالم الخلق محلًا للأجسام والجسمانيات وما يعرض لها، وما هو متعلق بكسب الإنسان في هذه الحياة الدنيا؛ كانت نسبة وقوع الشر إليه أقرب؛ ذلك لأن: "الجسمانيات مركبة من مادة وصورة، والمادة منبع الشر والعدم"[١]، ولكن الشر الحاصل فيه ليس هو الشر الذاتي

[١] – فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقدم له: عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ص ٢٢٢



الذي يلحقه من كونه أثر فعل الخالق سبحانه، ولكنه الشر اللازم عن طبائع الفعل الإنساني بتفاعله مع أجزاء هذا العالم المحسوس.

فيعرض للشيء وصف الشرية بالنسبة إلى هذه الجهة، دون ذات الفعل ومبدئه؛ ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى الاستعاذة مما يقع في عالم الخلق فقال: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: ٢] وإضافة الشر إلى عالم الخلق: " أي: إلى كل ما خلق؛ لاختصاصه بعالَم الخلق، المؤسَس على امتزاج المواد المتباينة، وتفاصيل كيفياتها المتضادة المستتبِعَة للكون والفساد في عالَم الحكمة"[١] فيكون الشر الاعتباري حاصلًا في عالم الخلق من جهة تعلقه بالحوادث، الكائنة في النظام الوجودي الكلي المتحقق بانتظام جميع الجهات على النحو الذي لو نظرت إليه منفصلًا لرأيته شرًا، ولو نظرت إليه في نظمه العام وجدته خيرًا كله، فيكون الشر الاعتباري القليل من أجل ذلك الخير الكلي الكثير، وأنه لا وجود فيه للشر المطلق؛ ولذلك جاءت الاستعاذة من عالم الخلق دون الأمر الذي هو نور كله: "فلما كان الأمر كذلك لا جرم قال: أعوذ بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور الإيجاد والإبداع من الشرور الواقعة في عالم الخلق وهو عالم الأجسام والجسمانيات"[٢]

ولذلك اختص عالم الخلق بالعوارض التي ترد على الأجسام بسبب حدوثها في هذا الحيز من الوجود؛ فتحصل الاستعاذة "بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور التكوين والإبداع من شر عالم الخلق الممزوجة خيراتها بالآفات، ولا سيما عالم الكون والفساد الذي هو جماد ونبات

---

[١] – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٧٥/٧

[٢] – تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٢/ ٣٦٧



وحيوان والجمادات أبعدها عن الأنوار لخلوها عن جميع القوى الروحانية وهو المراد بقوله: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ} [الفلق: ٣] وفوقها النباتات الناميات في الأقطار الثلاثة الطول والعرض والعمق وهن العُقَد الثلاث فلذلك سميت قواها بالنفاثات فيها، وفوقها القوى الحيوانية من الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب المانعة للروح الإنسانية عن الانصباب إلى عالم الأمر كالحاسد يمنع المرء عن كماله ويغيره عن حاله."[١] فتجد في عالم الخلق الشهوة، والمرض، والعجز، والغضب، والجهل، والتكذيب، والعصيان.. وغيرها متمثلة في أجسام عالم الخلق، منتمية إليه، وهي تنزع منها بمجرد رجوعها إلى عالم الأمر بالجبلة أو بالإرادة.

فلعالم الخلق هذه الخصائص الثلاثة التي تجعله محلًا لتحمل الأمانة التي قبلها الإنسان مختارًا راضيًا، ولذلك نظمه رب العالمين بهذا القدر المُحكَم ليعين الإنسان على أداء مهمته التي خُلِق من أجلها؛ وهنا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون له حقائق وقوانين ثابتة متعلقة بالمادة وكائنة في الزمان. ومع ذلك أعلمنا عز وجل أنه عالم ظلي لأصل فيه خير لا شر فيه، وكينونة لا يُسأل فيها عن علل أو مقدمات: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢].

---

١ – تفسير النيسابوري – غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٦٠٥

المبحث الثالث:

خواص عالم الأمر وما فيه

كما يمتاز عالم الخلق بخصائص يُعرَف بها، كذلك لعالم الأمر خصائص تقابلها يعرف من خلالها ما يشتمل عليه وما يُسَيره من قوانين وأحكام. أهمها:

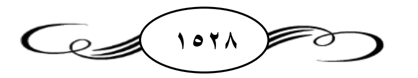
أولًا: عالم الأمر لا مادة فيه ولا زمان:

فهو عالم الأرواح والمجردات، كما قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]، فكما عُرِف عالم الخلق بأنه محل الجسمية والمقدار، تميز عالم الأمر بالتجرد عنهما، ذاتًا وعوارضَ، إذ ليست الحواس الظاهرة طريق إدراكه؛ فلا يمكن أن يُدرَك بكنهه في الحياة الدنيا؛ لأن الحواس أدوات معرفتنا، ولذا كان علمنا به محدودًا، إلا بالقدر الذي علمنا الخالق إياه: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].

ولذلك يعرف عالم الأمر بأنه: "عبارة عن الموجودات الخارجية عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز والدخول تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية منه"[١]، فلا سبيل لتحقق الإدراك المباشر لما هو من عالم الأمر لبعده عن المدارك الحسية؛ ولذلك كان الجواب عن السؤال عن حقيقة الروح: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: ٨٥] بالإشارة إلى أنها من عالم الأمر: "{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥] أي ليس من

---

[١] – الإمام أبو حامد الغزالي: روضة الطالبين وعمدة السالكين، مجموع الرسائل ص ١٢٨



عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهريين البدنيين، الذين يتجاوز إدراكهم الحس والمحسوس، بالتشبيه ببعض ما شعروا به، والتوصيف. بل من عالم الأمر، أي الإبداع الذي هو عالم الذوات المجردة عن الهيولى، والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنكم إدراكه أيها المحجوبون بالكون، لقصور إدراككم وعلمكم عنه {وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} هو علم المحسوسات."[1] فليس في الجواب الإلهي عن حقيقة الروح تعجيز، ولكن فيه تنبيه على تمايز المدارك التي اختص بها كل واحد من العالمين.

فوجه الخفاء في إدراك تمام حقيقة عالم الأمر هو بعده عن الحواس؛ ولهذا أشار القرآن الكريم إلى صعوبة إدراك حقيقة الروح المنتمية إلى ذلك العالم، فمعرفته ليست مستحيلة، بل هي عسيرة تحتاج إلى مجاهدة لمن يدعوه حاله إليها كما قال الإمام أبو حامد: "ومعرفة الروح صعبة جدًا، لأنه لم يرد في الدين طريق إلى معرفته لأن لا حاجة في الدين إلى معرفته، لأن الدين هو المجاهدة والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]. ومن لم يجتهد حق اجتهاد لم يجز أن يتحدث معه في معرفة حقيقة الروح. وأول أس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب، لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد."[2]

---

[1] – محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١/١٤١٨هـ، ٦/٥٠٠

[2] – كيمياء السعادة، مجموع الرسائل ص ٤٥٠



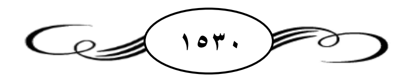
فيرتبط عالم الأمر بما غاب عن الحواس، وتجرد عن الجرمية والتحيز؛ ولهذا كان عالم الخلق كالظلال لما في عالم الأمر من الحقائق والخزائن الغيبية التي لا تتنزل وتتجسد في عالم الخلق إلا بقدر معلوم، فيدخل فيه الحقائق الثابتة، والموجودات التي لا توصف بتعين أو تشخص أو اندثار أو توسط أو عصيان، فمنه الملائكة الذين {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦]، والروح التي هي أحد أسرار عالم الأمر، وبها قوام عالم الخلق وتحقق وجوده، {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥] والجنة، واللوح المحفوظ.. وغير ذلك مما لا تدركه الحواس ولا يحتويه الزمان.

ثانيًا: عالم الأمر يوجد دفعة بلا توسط:

إن الإيجاد بالتدريج والوسائط لا يكون من جهة الفاعل القادر الغني. إنما يكون من الجهات القابلة المنفعلة؛ فيحصل لها نوع استعداد ينتقل وجودها به من القوة إلى الفعلية حسب مراتب التحقق والظهور؛ ذلك لأن العالم المادي يتميز: "بتعلق الصور فيه، ذاتًا وفعلًا، أو فعلًا بالمادة وتوقفها على الاستعداد، فما للأنواع التي فيها من الكمالات هي في أول الوجود بالقوة، ثم يخرج إلى الفعلية بالتدريج"[١]، لارتباط فعليته بالزمان، والزمان يقتضي الوجود بالقوة قبل التحقق بالفعل؛ لتلبسه بالإمكان الذاتي، فكان كل حادث زماني مسبوقًا بقوة الوجود.

أما عالم الأمر فلا قوة فيه ولا استعداد، بل هو فعل كله، {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: ٥٠] فيوجد دفعة، من غير واسطة أو تهيؤ

[١] – محمد حسين الطباطبائي: نهاية الحكمة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص ٣٢٣



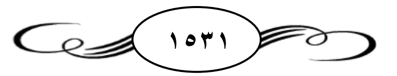
القوابل: "إذ وجوده غير متعلق بالحركات والاستعدادات، فيوجد بمجرد الجهات الفاعلية لا بالجهات القابلية الانفعالية"[1] إذ الزمان ليس من مقتضيات وجوده، ولا المادة والتحيز من لوازمه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]، فلا تكون إجابة الأمر التكويني إلا بالطاعة والانقياد:{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: ١١]، بخلاف الإحداث في عالم الخلق الذي يقتضي التدرج والزمانية لمناسبة المفعولات فيه: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت: ١٢]؛ ولذلك خُص عالم الخلق بالأمر التشريعي، فكان فيه الطاعة والمعصية، والقرب والبعد، أما عالم الأمر فكله طائع، لا يرد منه المعصية أو الإباء، فيقتضي حال من فيه أنهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

ثالثًا: عالم الأمر خير كله:

لتجرده عن المادة والمقدار اللذين هما متعلقات الشر النسبي الحاصل في عالم الخلق نظرًا لاستعداد قوابله، فكما أن عالم الخلق مشتمل على الخير والشر، وإن غَلَبَ خيرُهُ على شرهِ النسبي، فعالم الأمر خير كله لا مجال فيه للشرية؛ ولهذا جاء وصف الملائكة لعالم الخلق: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة: ٣٠] مغلبين وصفه العَرَضي بالقياس إلى العالم الأمري محل التسبيح والتقديس والخير المطلق: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: ٣٠]، إلا أن المولى عز وجل نبه على أن اعتبارية الشر القليل الموجود في عالم الخلق إنما هي من أجل الخير الكثير الغالب

---

[1] – صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: أسرار الآيات، مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي، طهران ١٤٠٢هـ، ص١٠٤

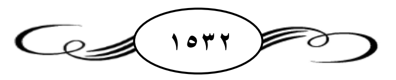


عليه، والذي لا يعلم كنهه إلا هو، فإنك: " إِن خطر لَك نوع من الشَّرّ لَا ترى تَحْتَهُ خيرًا، أَو خطر لَك أَنه كَانَ تَحْصِيل ذَلِك الْخَيْر مُمكنا لَا فِي ضمن الشَّرّ فاتهم عقلك الْقَاصِر فِي أحد الخاطرين .. وَلَا تَشُكَّنَ أصلًا فِي أَنه أرْحم الرَّاحِمِينَ وَفِي أَنه سبقت رَحمتُه غَضَبه وَلَا تستريبن فِي أَن مُرِيد الشَّرّ للشر لَا للخير غير مُسْتَحقّ لاسم الرَّحْمَة"[1]

ولذلك جاء الجواب الإلهي: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠] فكان تعليم آدم الأسماء وسجود الملائكة له أكبر شاهد على علم الله بحقائق العالَمين، وحكمته من ظهور عالم الخلق مع نسبية الشر الذي تنصهر بناره ما تبقى به من أثار ظلمة العدم، فيعود الأصل من حيث كان إلى النورية المطلقة كالذهب الذي ينجلي بالنار فيصفى من الكدورات التي علقت به؛ ولهذا كان إقرار الملائكة بالتنزيه المطلق، وإرجاء علم حقيقة العالمين ومجمل الوجود إلى الرب الذي لا يُحيط بعلمه شيء. فكان إقرارهم: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

فعالم الخلق ليس شرًا كله، من جهة تعلقه بالحق وهو عين ارتباطه بعالم الأمر الذي هو خير كله لاستمداده النور المباشر من الأول، من حيث زوال حجاب المادة والحيز والزمان. فيكون ما "ظهر من عالم التركيب (الخلق) من الشرور فمن طبيعته التي ذكرتها الملائكة، وما ظهر منه من خير فمن روحه الإلهي، الذي هو النور المولد، فصدقت الملائكة؛ ولذلك

[1] –أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: الجفان والجابي – قبرص، ط:١/١٩٨٧م، ص:٦٥



قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}"[1] فالشرور التي تطرأ على عالم الخلق هي من جهة القوة أو العدم، حيث عُرِف بعالم الكون والفساد. أما عالم الأمر ففعل كله، لا عدم فيه ولا فساد، لهذا كان خيرًا كله لا شر فيه.

رابعًا: عالم الأمر قوانينه غيبية (عالم اللاسببية):

فعالم الأمر لا أسباب فيه ولا علل، ولا يعلم نظمَ قوانينهِ إلا الله جل وعلا؛ فـ "في عالم الأسباب تُقَدَم الأسباب على الأحكام، ولكن في عالم انعدام الأسباب تُطلَقُ الأحكامُ دونما سبب، تُطلَقُ الأحكامُ بالأمر، تُطلَقُ الأحكامُ بالعلم، ويُطلَقُ الحكمُ بالمشيئة."[2] وهنا سر عظيم مرتبط بمرتبة القضاء والتسليم بشمولية العلم الإلهي وإحاطته وانكشافه لجميع الموجودات، وهذا – والله أعلم – أحد أسباب نهي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابَه رضوان الله عليهم عن الخوض في القدر رغم علو مقامهم وسعة علومهم، فهو نهي عن الخوض في بحر الغيب بمركب المحسوسات؛ لأنها لا محالة ستهلك أو تضل؛ لعدم تحمل خشبها وقضبانها قوة أمواج بحر العلم الإلهي.

فليس للإنسان في هذا المقام إلا التسليم بعجز أدواته عن إدراك قوانين ذلك العالم، مع ثقته ويقينه بأن: {مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ} [الجمعة: ١١] وبذلك ندرك التنبيه الإلهي: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦] بسبب الجهل بحقيقة قوانين عالم الأمر،

---

[1] – أبو بكر محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العملية، بيروت ٣٠٦/٤

[2] – تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: مجلس في الخلق والأمر، ملحق بكتاب: تفسير الشهرستاني المسمى: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، ١٠٨٥/٢



ومرتبة القضاء الإلهي: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]. ولعله من الملاحظ أن في القرآن الكريم ربطًا بين الأمر والقضاء في كل ما هو مبرم وثابت في علم الله الأزلي، أو بتعبير الشهرستاني "المفروغ"[١]، كما في الآيات: {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} [الأنعام: ٨]، {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأنعام: ٥٨]، {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١].

ولم يكشف الله سبحانه وتعالى من قوانين عالم الخلق لصفوة عباده إلا باليسير الذي تطيقه قواهم ما داموا في هذه المرتبة من الوجود حيث يفتح الله لمن يريد من عباده بابًا في سر قلبه ليعلمه من لدنه علمًا لو عرضه على الأسباب لأنكرته لعدم عهدها به، فهذا: "العلم الرباني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: ٦٥] مع أن كل علمٍ من لدنه، ولكن بعضه بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمى ذلك علمًا لدنيًا، بل اللدنيّ الذي ينفتح من سر القلب من غير سبب مألوف من خارج."[٢] وبهذا علم الخضر باستنكار موسى عليه السلام لشيء من قوانين عالم الأمر فجعل عدم السؤال شرطًا لقبول الصحبة: { فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي} [الكهف:

[١] – يستخدم الشهرستاني مصطلح: "المفروغ" في مقابل مصطلح: "المستأنف" للتمييز بين مرتبتين: الأولى: مرتبة القضاء الإلهي الذي يعبر عنه بالكلمات التامات التي لا تتغير ولا تتبدل كما في قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام: ١١٥]، {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} [ق: ٢٩] والثانية: التقدير الإلهي في عالم الحوادث (الخلق)، والذي يعبر عنه مثل قول الله عز وجل: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل: ١٠١]، فالأولى إشارة إلى حقيقة قوانين عالم الأمر، والثانية إلى قوانين عالم الخلق، ولكلٍ خصائصه.

[٢] – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، ٣/٢٤



٧٠]، بيد أن موسى عليه السلام، هذا النبي الذي بعثه الله للناس {مِنْ أَنْفُسِهِمْ} يعلمهم شريعته ويبين لهم طريق سلوكهم في هذا العالم وعبورهم منه إلى {الْمُسْتَقَرُّ} لم يكن – من منظور عالم الخلق – إلا حَكمًا عدلًا، ناطقًا بالحق مُستَنكِرًا ما تنكره الشرائع، إلا أنه سأل عما هو أمري بمقولات عالم الخلق، ولذلك وصف ما فعله الخضر بأنه: {شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف: ٧١]، و {شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف: ٧٤].

فأحكام عالم الخلق التي قاس من خلالها موسى عليه السلام أفعال الخضر هي القوانين والشرائع الظاهرة، أما هذا " الْعَالِمُ ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر؛ وذلك لأن الظاهر أنه يحرم التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسألة الأولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف؛ لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر، والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر، وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنيًا على الأسباب الظاهرة المعلومة، بل كان ذلك الحكم مبنيًا على أسباب معتبرة في نفس الأمر"[١]

فجاء جواب الخضر بتوجيه قياسه من عالم الخلق إلى نفس الأمر: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} [الكهف: ٨٢] ثم بإجلاء شيء مما في عالم الأمر، الذي

[١] – تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢١/ ٤٨٩

لا يتأتى في مثل هذه الحالات من باب الظواهر، بل التأويل[1] مسلكه، ورحمةٌ من عند الله طريقه. هذه الرحمة التي مَنَّ الله بها على الخضر: {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} [الكهف: ٦٥] فكان نتاجها هذا العلم اللدنيّ: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: ٦٥]، فـ "كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها. وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم."[2]

ولم يكن هذا لعلو مقام الخضر عن مقام النبوة – على رأي من نفاها عنه – لكن الخضر علم: "أن موسى رسول من الله فأخذ يرقب ما يكون منه ليوفي الأدب حقه مع الرسول فقال (موسى): {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي} فنهاه عن صحبته. فلما وقعت منه الثالثة قال: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ}. ولم يقل له موسى: لا تفعل، ولا طلب صحبته بقدر الرتبة التي هو فيها، التي أنطقته بالنهي عن أن يصحبه. فسكت موسى ووقع الفراق."[3] فكان هذا أنموذجًا للتحقق اليقيني للقضاء الإلهي الذي لو كُشِف للإنسان لما استنكر منه شيئًا. إلا أن سريان الإنكار على بعض الوجوه سرٌ

---

[1] – التأويل في الأصل: الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} [الأنعام: ٩٥]. إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالِم من الجاهل كان تأويلًا. التعريفات ص:٥٠

[2] – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيرت، ط:١، ١٤٢٢ هـ ٥٢٩/٣

[3] – محيي الدين بن عربي: فصوص الحِكَم، تعليق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي بيروت– لبنان ٢٠٦/١

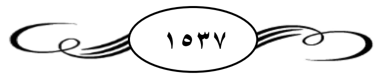


من أسرار عالم الخلق المُسَيَّر وفق قوانين وسنن كونية سخرها الله عز وجل لعباده.

وهذان مقامان لا يعارض أحدهما الآخر، ولهذا كان الأدب المتبادل بين موسى والخضر عليهما السلام، كما يذكر ابن عربي (ت٦٣٨هـ): "فانظر إلى كمال هذين الرجلين في العلم وتوفية الأدب الإلهي حقه، وإنصاف الخضر فيما اعترف به عند موسى عليه السلام حيث قال له: (أنا على علمٍ علَّمَنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علمٍ علَّمَكَه الله لا أعلمه أنا) فكان هذا الإعلام في الخضر لموسى دواءً لما جرحه به في قوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} مع علمه بعلو رتبته بالرسالة، وليست تلك الرتبة للخضر."[١] وفي هذا إشارة إلى أن عالم الأمر قوانينه ومجريات تقديره لا يحيط بها إلا الله، وهو برحمته يفتح إليها بابًا لمن يصطفي من عباده من الأنبياء والأولياء ومن شاء: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } [البقرة: ٢٥٥].

ومن هنا يتضح أن لكل واحد من العالمين خصائص تميزه عن الآخر ضمن التصور الكلي للوجود، وأنه من الصعب قياس موجوداتهما بمقياس واحد، وهذه من حكمة الخالق سبحانه وتعالى مدبر الوجود الممكن الذي هو كالظل لعالم الأمر في هذا النظام المحكم ليتمكن الإنسان من أداء مهمته التي خلق من أجلها، فجعل فيه المدة والزمان، وأعطى لقوانينه نوعًا من الثبات الظاهر الذي يعطي للإنسان ثقة في حقائق الأشياء وثباتها فيتفاعل مع أجزائه، ويتنقل بين دروبه مدركًا تجليات قدرة الله فيها، فيستطيع أن يعير الأشياء بمعيارها السليم مميزًا بين شرٍ نسبي وخيرٍ مطلق. ثم من خلال هذا

[١] – فصوص الحِكَم ٢٠٦/١



العالم المشاهد ينتقل الإنسان تدريجيًا أو دفعة إلى التنبه لوجود عالم آخر مُسَّير بالأمر الإلهي، بغير حاجة إلى سبب أو زمان أو مادة؛ لانتفاء علتها هناك، فيعرف الخير المطلق، ويفتح لمدركاته بابًا ربما أغلقته الأسباب وتعلقاتها.

وهنا يرد سؤال عن مدى إمكان تصور عالم الخلق منفصلًا عن عالم الأمر، أو العلاقة التي تربط بينهما، مما يدعونا إلى البحث في مسألة العلاقة بين العالمين.

المبحث الرابع:

العلاقة بين عالمي الخلق والأمر

بالنظر إلى حقيقة العلاقة بين العالمين فإنه لا يمكن تصور انفصال تام بينهما، سواء توجهت من عالم الخلق إلى عالم الأمر الذي هو أصله، أو من عالم الأمر إلى عالم الخلق الذي هو ظله، كما سيتبين – فالروح هي التي تمد موجودات عالم الخلق بالحياة المتصلة بعالم الأمر والموصلة إليه: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥]، فالاتصال بين العالمين هو سر الحياة وروحها، وبالتالي حينما ينقطع هذا الاتصال تموت الأبدان، وتعود الروح إلى عالمها {رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر: ٢٨] فتتصل بأصلها في جنة خلد لا يعتريها نقص أو بوار؛ لخلوها عن المحدثات الخَلقية.

فلعالم الأمر قوانين ربانية لا يُسَيِّرُهَا إلا الله دون وسائط أو أسباب، ولا يعلم أسرارها إلا هو، وإن كانت هي أصل لما في عالم الخلق، بيد أن الثانية لها أسباب وعلائق لا تتم إلا بها، تتوقف هذه الأسباب وتنساب تلك العلائق إذا جاهد الإنسان في تخطي عالم الخلق إلى عالم الأمر، حيث لا أسباب هناك ولا موانع، فيحصل له في لحظات ما يمكن أن يبذل فيه عمرًا، سائرًا بين دروب أسبابه. ويقرب من ذلك ما يتحقق للنائم من إدراك حقائق، واستجماع صور عابرًا حدود الزمان والمكان، دون قيودٍ أو تعلقٍ برسوم. وكذلك ما يحصل للعارف السالك طريق الطلب والنظر، المنخلع عن علائق الدنيا من انجلاءٍ لأسرار حقائق، وكشفٍ لخفيات مسائل يقطع في طلبها حدودًا تنقضي فيها الأعمار.

ولذلك تجد من تعلق بقوانين عالم الخلق ولم ينتبه للجانب الأمري فيه لم يساعده حاله أو تعاونه قواه في قبول خرق العادات وتخلف الأسباب، ومن ثم ينكر البعض المعجزات رغم جلائها كالشمس في وضح النهار. وأنى لمن يقيم بين قضبان سجن الأسباب الصرفة أن يدرك سريان أمر الله في كل الوجود خلقه وأمره، متى تعلقت به إرادته ونفدت مشيئته. وقس على ذلك أوجه كثيرة لإنكار المنكرين لمسلمات يتوقف التسليم بها على التفطن لهذا المقام.

فَرَبُ الأسباب الذي خلقها وسيرها إلى عالم المحدثات، هو الذي يجعلها بالأمر حيث يشاء، فتكون كما أمر وأراد. فلا يمكن قياس عالم الأمر بقوانين عالم الخلق فنكون من المنكرين بغير حق، وينغلق أمامنا باب ينفتح على ما وراء حواجز المحسوسات، باب أمر الله الذي: {إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] سواء كان في حيز إدراكاتنا الخَلقية، أو يتعدى ذلك إلى سعة الأمر وشمولية الإرادة.

وقد نبهنا الله تعالى إلى هذه العلاقة بين العالمين بأكثر من طريق؛ وأقربها أنك حينما تسير ساعيًا إلى طلب الحقيقة والاستئناس بها يرشدك الله إلى هذا النور الخفي الموجود فيك: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١]، فتلك الرحلة الداخلية التي تسير فيها من أسباب عالم الخلق إلى أمر ربك، وتدرك أن سر وجودك هو هذه الروح الأمرية، فلست بحاجة إلى أن تسعى بعيدًا في طلب مقصودك وتحصيل مطلوبك، بل مسعاك فيك، ومقصودك قريب: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة: ١٨٦]، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، فالقرب مما هو أمري والاستئناس به يقربك ممن: {لَهُ

الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤]. وقد تقرر هذا المعنى في قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُرُ

أَتَزعُمُ أَنَّكَ جُرمٌ صَغير وَفيكَ اِنطَوى العالَمُ الأَكبَرُ

فَأَنتَ الكِتابُ المُبينُ الَّذي بِأَحرُفِهِ يَظهَرُ المُضمَرُ

وَما حاجَةٌ لَكَ مِن خارِجٍ وَفِكرُكَ فيكَ وَما تُصدِرُ[1]

فهذا الذي بين عالم الخلق وعالم الأمر من صلة روحانية تتجذب النفس إليها فرارًا من قوانين عالم الأسباب يمثل النور الذي ينشده الإنسان طيلة حياته، وفي ثنايا عباداته، وبين تجليات خلواته؛ فحينما تتجاوز الأسباب وأنت آخذ بها – غير مستنكر لمرتبتها، ولكن ترى عين التأثير الحقيقي لخالقها ومُسَيِّرها – لا تكون الأسباب عندئذ هي الحاكمة، بل الأمر الإلهي الذي ينير لك فيها طريق الخلاص من العلائق، فتكون مسخرة لك، مطيعة لأمر الله فيك، حيث تصير محبوبًا، يتجلى من خلالك الإمداد سمعًا وبصرًا وحركةً وسكونًا، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يروى عن ربّه عزّ وجلّ: [.. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ][2] فمن أتى الله

---

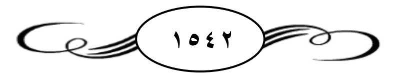
[1] – ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جمعه وضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ص: ٨٦

[2] – حديث: " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ:



ساعيًا إليه، مجتازًا التعلقات والموانع عجل الله في إمداده وغوثه بما يخرجه من علائق الأسباب، فتتحقق غايته الخَلقية، ويسير منها إلى أمر الله حيث النعيم الدائم. وهذا ما يريده رب العالمين منا؛ أن نعرفه ونعبده ونسير من الأسباب إليه فنكون فيها سالكين غير مستَغرَقين فيها، بل نعي أنها من سبل الوصول إليه، مهما تعددت طرائقها وتفاوتت مداركها.

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب: الرِّقَاقِ، باب: التواضع، رقم: ٦٥٠٩ ، ١٠٥/٨



الفصل الثالث:

ما ترتب على التمييز بين عالمي الخلق والأمر

إن التمييز بين عالمي الخلق والأمر لم يكن تصورًا لمراتب الوجود الممكن فحسب، بل إن هذا التحديد التصوري قد ساعد في تكوين رؤى معرفية ووجودية ذات معالم واضحة. وكذلك فإنه بمعرفة خصائص العالَمين وحقيقة الترابط بينهما قد انجلت كثير من الإشكالات الفكرية التي لا يمكن أن تنضبط على النحو الذي تقره الشرائع وترجحه العقول والبصائر إلا من خلال التمييز المفاهيمي والوجودي لكل من عالمي الخلق والأمر. فوضع تصور كامل للوجود وترتيب المخلوقات من حيث البدء والظهور ثم الإعادة لا يتحقق بالسير في طريق المحسوسات فقط؛ إذ ما ورائها ليس منفصلًا عنها، ولا يتم في هذه الحياة بدونها.

ويرى أصحاب هذا التوجه أن الشرائع جاءت مبينة لحقيقة العالَمين، كاشفة لحدود كل منهما، على الوجه الذي تحصل به السعادة وتتحقق به النجاة. فكيف للخالق جل وعلا أن يخبر عباده بأن هذه الحياة، التي هم متيقنون من وجودها بتحقق وجودهم فيها، ما هي إلا متاع ولهو زائلان؟ وأن الحياة الباقية هي حياة أخرى لا يستطيعون رؤيتها الآن وليس لهم أن يحيطوا بكمال حقيقتها في حيز وجودهم المادي {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} [العنكبوت: ٦٤]، بل ويربط ذلك بمرتبة العلم {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٦٤]، كيف للخالق الحكيم أن يطالب عباده بهذه المرتبة من التيقن بمستقرهم في العالم الحقيقي (الْحَيَوَانُ) دون أن يدركوا علاقتهم به، ويكشف لهم شيئًا عن تصور وجوده، حتى يحصل لهم تشوق وسعي إليه، لتتحقق

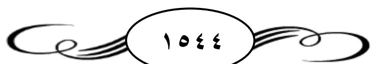
الصلة ويعود الإنسان كما بدأ مختارًا راضيًا مشتاقًا للوصول إلى المنتهى: { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم: ٤٢]؟

سيما وقد ثبت أن جميع المخلوقات ساعية إلى تحقق هذا الوصال، بل هي تحيا به مستنيرة بأنوار عالم الأمر الموصل إلى المقصد الأسنى: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٧٠]؛ ولذلك كان لجميع الكون سجود ذاتي وتوجه جبلي إلى الخالق: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [الحج: ١٨]، "وهذا سجود فطري ذاتي عن تجل وقع من قِبَل الله لهم، فأحبوه وانبعثوا إلى الخضوع له تقربًا إليه بعبادة ذاتية وحركة جبلية نحوه من غير تكلف."[١]

فتصور انتظام الكون على هذا النحو المترابط ترتب عليه تكوين بناء منهجي واضح لضبط كثير من المسائل التي كانت محل نزاع في الفكر الديني على مدار العصور، الأمر الذي يمكن ملاحظته من خلال رصد التشابه في الرؤى المنهجية بين بعض الاتجاهات الفكرية عند فلاسفة اليونان، والفلاسفة المسلمين، ولدى العرفاء، وبعض المفسرين وعلماء الكلام في العالم الإسلامي، وهذا بدوره يرجع إلى التأصيل التصوري للرؤية الوجودية للعالم الممكن وانقسامه إلى أمر وخلق، وعن علاقة الممكن بالواجب سبحانه وتعالى.

ومن أبرز القضايا التي تُعَد من نتائج هذا المنهج، وهي في ذات الوقت مبينة لمعالمه ما يلي:

[١] – صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: أسرار الآيات ص:٨١



أولًا: عالم الخلق ظل لعالم الأمر

ثانيًا: الإنسان إلى أي العالمين ينتمي؟

ثالثًا: القرآن الكريم غير مخلوق

رابعًا: إمكان المعجزات وخوارق العادات

واستكمالًا لهذه الرؤية المنهجية سأتعرض في المباحث اللاحقة لكل واحدة من هذه القضايا بشيء من التأصيل.

المبحث الأول:

عالم الخلق ظل لعالم الأمر

جعل الله سبحانه وتعالى النظر في الأكوان من علامات وجوده لمن سلك طريق البراهين الإنية، بأن يستدل بخلقه عليه. وفي سلوك هذا المنهج تعددت الرؤى حول تصور طبيعة العوالم وارتباط بعضها ببعض؛ بين من يحصرها في عالمين اثنين، عالم الشهادة وعالم الغيب أو عالم الملك وعالم الملكوت، بما يندرج تحتهما من مسميات وتصنيفات. وكذلك من يعتقد بتعدد العوالم[١] بحسب مرتبة وجودها ظهورًا وخفاءً. هذه الرؤى الوجودية مع

---

[١] – القول بوجود عوالم متعددة: عُرِف في الفكر الإسلامي قديمًا بناءً على الفهم الفلسفي للوجود الممكن، وتصور تعدد ماصدقاته واشتماله على عوالم مرئية لنا وأخرى غير مرئية، والبعض اعتمد في هذه الرؤية على فهم لبعض إشارات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} [الطلاق: ١٢] كما يذكر محيي الدين بن عربي في الفتوحات: "في كل نفس خلق الله فيها عوالم {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ٢٠]، وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله وعظمت عند المشاهد.. من جملة عوالمها عالم على صورنا إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها وقد أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه في حديث: هذه الكعبة وإنها بيت واحد من أربعة عشر بيتًا وأن في كل أرض من السبع الأرضين خلقا مثلنا حتى إن فيهم ابن عباس مثلي" الفتوحات المكية ١٢٧/١

ويقرب من هذا ما يعرف في العصر الحديث بنظرية الأكوان/العوالم المتعددة Parallel Universes أو Multiverse وهي عبارة عن مجموعة افتراضية متكونة من عدة أكوان بما فيها الكون الخاص بنا، وتشكل معًا الوجود بأكمله. ونظرية تعدد الأكوان فرضية في علم الكونيات والفيزياء والفلك والفلسفة والمسائل الرياضية والخيال العلمي واللاهوت. وقد تأخذ الأكوان المتوازية في هذا السياق أسماء أخرى كالأكوان البديلة أو الأكوان الكمية أو العوالم المتوازية. انظر: عبد الجبار حسين الظفري: العوالم المتوازية – فرضية الأكوان

اختلاف تصوراتها نجدها تلتقي في النظرة الاجتهادية لأصحاب هذا التوجه الذي يحصر العوالم في قسمين، كما يبين ذلك صدر الدين الشيرازي[١]: "والعوالم وإن كانت متعددة إلا أن الجميع مترتبة منتظمة في سلك واحد، متفاوتة باللطافة والكثافة والظهور والبطون.. والعوالم مع كثرتها منحصرة في قسمين: عالم الأمر وعالم الخلق، فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بهذه الحواس الظاهرة الخمس بالخلق لقبوله المساحة والتقدير، وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي النفس والقلب والعقل والروح والسر بالأمر"[٢]

فالعوالم كلها من حيث النظام الكلي للوجود – حسب هذه الرؤية – تنقسم إلى أصل وهو الوجود الحقيقي الذي يحوي حقائق الأشياء في نفس الأمر، وظل لهذا العالم فيه ما فيه من الصور التي هي انعكاس للعالم الحقيقي. الأول هو عالم الأمر، والثاني هو عالم الخلق. وهذا سر إمكان

المتعددة، المركز اليمني لتكنولوجيا التعليم وتقنية المعلومات، ص:٣ وفي هذا الشأن حديث مفصل يحتاج إلى بحث منفرد.

[١] – صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي المعروف بالملا صدرا أو بصدر المتألهين. أحد كبار أعلام الفكر في الإسلام وأبرز الشخصيات في تاريخ الفلسفة الإسلامية. توفي في مدينة البصرة وهو في طريقه إلى مكة للحج مشيًا على قدميه سنة ١٠٥٠هـ، وله ما يربو عن الخمسين مؤلفًا في مسائل الحكمة والتفسير وغيرها ومنها: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، المبدأ والمعاد، مفاتيح الغيب، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، حاشية على إلهيات الشفاء لابن سينا، تفسير القرآن الكريم، وغيرها. انظر: (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات) ٣٣١/٢، سونيا لطفي الهلباوي:(علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي) رسالة ماجستير ١٥ – ٢٢

[٢] – أسرار الآيات ص: ١٠٤



موجودات عالم الخلق وافتقارها إلى الأمر افتقار الظل إلى أصله: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا} [النحل: ٨١]؛ "أي جعل عالم الخلق ظل عالم الأمر تستظل أيها الأرواح به عند طلوع شمس التجلي وإلا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره[١].. والله أعلم."[٢] فعالم الظلال علامات وآثار للعالم الحقيقي به يتوصل إليه ممن سلك طريقه.

ولكن لا يَرِد على الذهن تشابه طبيعة الظل في العالمين، من حيث كون الظلال في عالم الحوادث انعكاسات طبيعية وضرورية تبعًا للسنن الكلية في الوجود الممكن، أما ظل عالم الأمر فإنما يصدر من الخالق المختار {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} [الفرقان: ٤٥] الذي لو شاء لأبقاه في كتم العدم ساكنًا في خزائن وجوده {وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا} [الفرقان: ٤٥] إلا أنه قد تعلقت مشيئته سبحانه بإخراجه من العدم إلى الوجود بالقدر الذي لا يعلم حقيقته إلا هو.

وهذا الظل لا يتحقق ظهوره من نفسه بل يحتاج إلى النور الذي يكون دليلًا له ليرى به ذاته، وانعكاس مرآته ومكانته من الوجود الكلي، وهذا الدليل الذي يقوم من عالم الظل مقام الشمس من عالم الأجسام هو الروح الذي يوقظ هذه الأبدان من رقدة السكون ويحركها منساقة مشتاقة للسير إلى

---

[١] – إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه أبو موسى الأشعري قائلًا: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْط وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ» رواه مسلم في صحيحه (١٧٩) ١٦٢/١، كتاب: الإيمان، باب: فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ. وهو صحيح على شرط البخاري.

٢ – تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/ ٢٩٤

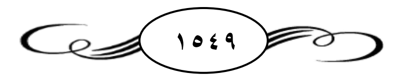
أصله {ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} [الفرقان: ٤٥] لتعود إلى مبدئها عارفة مدركة متحققة بما يمكنها من القرار في عالم الأمر {ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} [الفرقان: ٤٦]؛ " فعرف من ذلك أنه لولا الأرواح لم تخلق الأجساد ولم تتكون بالأجسام. وفي قوله: {ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا} إشارة إلى أن كل مركب فإنه سيحل إلى بسائطه إذا حصل على كماله الأخير."[١] كما أن هذا النور الذي يرد من عالم الأمر قد لا يكون جليًا لدى البعض بسبب الحُجُب والانشغالات، فيتطلب الأمر دفعًا وتنبيهًا وبراهين ترفع الحجب عن البصائر وتخلى ما بين شعاع الشمس وبين ظلال عالم الحقائق فتستطيع القوى الحادثة أن تستعين بالنظر والمشاهدة في الانتباه والتفطن للحكمة من مد الظل ويتحقق الإنسان عبر هذا الطريق من طرق الاستدلال، وهو البرهان الإنيّ[٢] أو الاستدلال بالخلق على الخالق.

ومن هذا الكثير من إشارات القرآن الكريم التي تدعو إلى السير في هذا العالم والنظر إليه بعين الاعتبار والتحقق، كما في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

---

١ – تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٤٧/٥

٢ – البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداءً؛ وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات، والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علَّةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر؛ فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضًا، فهو برهان لمّي، وإن لم يكن كذلك كأن لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن، فهو برهان إنّي. فالبرهان اللمي: هو الاستدلال من العلة إلى المعلول، وعكسه البرهان الإني: وهو الاستدلال من المعلول إلى العلة. انظر: التعريفات ص: ٤٤



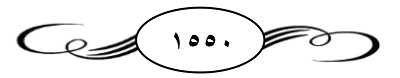
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤] أي طريق لهؤلاء الذين يطلبون الاسترشاد العقلي ويدركون مبتغاهم من خلاله، فأعانهم المولى عز وجل بأن أجلى لهم الرؤية ليتحققوا باليقين: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: ٥٣]، "(ف)عالم الملك والشهادة مُحَاكِ لعالم الغيب والملكوت. فمن الناس من يُسِرَ له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويَعْبُر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر: ٢]، ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم"[١] مع عدم تعارض هذا المسلك مع طريق الصديقين الذين لا يجدون أقرب منه دليلًا عليه، وهم الذين تحققوا باللمية، يعني سلكوا طريق البرهان اللمي[٢]، وهو الطريق منه إليه، إذ هو سبحانه القائل: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣].

لذلك يعتقد أصحاب هذه الرؤية أن لكل نوع من الوجود الممكن في عالم الخلق أصلًا ومبدئا في عالم الأمر منه يتكون وجوده مُتَصَورًا محدودًا؛ لحاجته إلى محال يتجلى من خلالها، كما يقول الملا صدرا: "إن لكل نوع من الأنواع الجسمانية فردًا كاملًا تامًا في عالم الإبداع هو الأصل والمبدأ. وسائر أفراد النوع فروع ومعاليل وآثار له. وذلك لتمامه وكماله لا يفتقر إلى مادة ولا إلى محلّ متعلق به. بخلاف هذه، فإنها لضعفها و نقصها مفتقرة إلى مادة في ذاتها أو في فعلها"[٣] ومن ثم فإن

١ - إحياء علوم الدين ١٠٣/٤

٢ - وهو الاستدلال من العلة إلى المعلول كما سبق.

٣ - الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط:١٩٩٠/٣م، ٦٢/٢

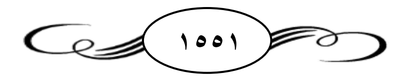


الموصوف بالأصل والتحقق إنما هو عالم الأمر، أما العالم الجسماني فلا حقيقة له مستقلة عن أصله: " العالم الجسماني ليس له وجود حقيقي، بل هو من ذلك العالم كالظل من الأجسام، وليس لظل الإنسان حقيقة الإنسان، و ليس للشخص حقيقة الوجود، بل هو ظل الحقيقة، والكل من صنع الله تعالى. قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد: ١٥]"[١]

فهذا التصور الكلي للوجود وانقسامه إلى أصل وظل، بناء على فهم خاص لبعض إشارات القرآن الكريم، وارتباط ذلك بالتصور الديني لحقيقة الحياة الدنيا وديمومة الآخرة، يأتي نتيجة للرؤية الفلسفية لانقسام العالم إلى خلق وأمر وطبيعة الترابط الوجودي والغائي بينهما. هذا التصور يأتي خادمًا للرؤية القرآنية التي تبين مكانة الإنسان في الحياة الدنيا ومهمته فيها{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٦٤] وتؤصل لفكرة الحدوث التي هي مبدأ الإيمان بوجود الخالق سبحانه وتعالى، وتعلق الأكوان به وافتقارها إليه في مبدأها وحياتها ومعادها { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١] فتنحل بذلك إشكالية ما يغلب على بعض الأوهام من تأصل الوجود الحسي وكفايته عن إدراك عالم الأمر والتحقق والاستئناس بما فيه.

---

[١] – أبو حامد الغزالي: الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق، عناية وتصحيح: عبد الله عبد الحميد عرواني، دار القلم دمشق، ط:١ ٢٠٠٣م، ص: ٦٦



المبحث الثاني:

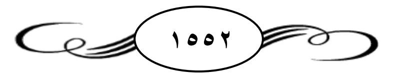
الإنسان من عالم الخلق أم من عالم الأمر؟

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق شيئًا من عالمي الخلق والأمر إلا وهو حسن في نفسه وخير في ذاته، ولم يجعل عالم الخلق منفصلًا حقيقةً عن عالم الأمر بسماته الروحانية، وسمو مكانته، بيد أن هناك موجودات اختص بها عالم الأمر ولم تنسب إلا إليه كالملائكة والعرش والجنة.. وغيرها، وهناك موجودات أخرى كانت في أصل وجودها أمرية ففسقت وعتت عن أمر ربها، فَصُرِفَت إلى عالم الخلق بالكلية، مثل إبليس الذي تأسى بالملائكة في صفاتهم، إلى أن خرج بدخول شيء من متعلقات عالم الخلق إليه فحجبته عن الامتثال للأمر، فكانت نتيجته: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠]، "يعني: فخرج عن أمر ربه، وعدل عنه ومال"[١] حيث فُسِر الفسق بالخروج؛ كما تقول العرب: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها، ولذلك قيل لها: الفويسقة[٢]

---

[١] – محمد بن جرير بن يزيد الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١/ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ٢٩١/١٥، وانظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ٥٣٢/٣، وإبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط:١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٢٩٤/٣

[٢] – انظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:١ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ١٧٦/٦، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩١/١٥



وهناك موجود كرمه الله ورزقه وفضله على كثير ممن خلق، وهو الإنسان: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]، "فالإنسان من عالم الخلق من جانب، ومن عالم الأمر من جانب، فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق؛ وليس للقلب مساحة ولا مقدار، ولهذا لا يقبل القسمة، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق، وكان من جانب الجهل جاهلًا ومن جانب العلم عالمًا، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال. وفي معنى آخر هو من عالم الأمر؛ لأن عالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه"[1] فأنشأ الله عز وجل الإنسان موجودًا جامعًا بين عالمي الخلق والأمر، حاملًا لبعضٍ من خصائص كل منهما، فهو بما فيه من الجسمية والتحيز يكون منتميًا إلى عالم الخلق، متعلقًا بالمادة وبما هو منها. ولاختصاصه بنفخ الروح فيه ينتمي إلى عالم الأمر ويتوجه إليه مشتاقًا إلى الترقي في درجات كماله وجمال تجلياته. وهو بين الحالين دائم الجهاد صعودًا وهبوطًا، وبهذا نال هذه المرتبة: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص: ٧١، ٧٢]، "فالتسوية إشارة إلى تعديل المزاج وتركيب الأمشاج، ونفخ الروح إشارة إلى اللطيفة الربانية النورانية التي هي من عالم الأمر، وأيضا قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

[1] – كيمياء السعادة، مجموع الرسائل ص ٤٥٠

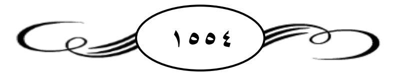
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} ولما تمم مراتب تغيرات الأجسام قال: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} وذلك إشارة إلى الروح الذي هو من عالم الملائكة"[1]

فالروح وما يحيط بها ويتسمى بمسميات حالها كالقلب، والباطن، والحياة، والسر.. الخ هو متعلق الإنسان بعالم الأمر، وهو مصدر صفائه، ومعيار محبته لكل ما يوصله أو يقربه من ذلك العالم. وهنا تنازع ظلمة تعلق النفس بالبدن وسوقه إلى الانشغال بالمحسوسات نور الروح وجذبها للبدن بشدة لذة حلاوة الأنس بما هناك؛ فكل موجود مستأنس بأهله مشتاق إلى عالمه سيما لو كان في غربة عنه؛ "فإن الروح في غاية اللطافة، والجسد في غاية الكثافة، لأنها من عالم الأمر، وهو ما يكون الإيجاد فيه بمرة واحدة من غير تدريج وتطوير، والجسد من عالم الخلق فهي غريبة فيه تحتاج إلى التأنيس وتأنيسها بكل ما يقربها إلى العالم الروحاني المجرد عن علائق الأجسام، وذلك بصرف القلب كله عن هذه الدنايا والتلبس بالأذكار والصلوات وجميع الأعمال الصالحات، فإن ذلك هو المعين على اتصالها بعالمها العالي العزيز الغالي"[2] فهي غريبة في هذه الدار مستأنسة بعالمها وبأهل حيها، وفي ذلك أنشد الشيخ أبو المواهب الشاذلي (٨٨١هـ) رحمه الله:

الروحُ مِنْ نورِ أمرِ اللهِ منشاؤهَا   والأرضُ منشأُ هذا القالَب البدني

[1] – تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٤/ ٥١١

[2] – إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٩/٢١



فالروحُ في غربةٍ والجسم في وطن فارعو زمامَ غريبٍ نازح الوطنِ[1]

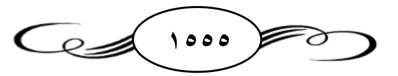
ولهذا وصف جهاد النفس في مقاومة الانجذاب للماديات والخلاص إلى الأصل أكبر من أي جهاد أخر، لولا هذا التعلق وتلك المجاهدة من الجانبين لما قُبِلَت توبةٌ عن ذنب، ولا سكن السالكون في الحياة على أي درب؛ ولذلك لم يرسل الله الرسل لمجرد التعليم والتوضيح والبرهنة، ولكن جعل ذلك مصاحبًا لتزكية النفوس من ظلماتها، ساعيين بها نحو الأنوار العلية حتى ولو كانت في ضلال مبين، كما أخبرنا المولى عز وجل: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

والمدرك لهذا المقام ينال مرتبة عالية، لا ينبغي له أن يضيعها بل يستبدل الانسياق باتباع شوق الأرواح وأنسها، فإن الاحتجاب قيد نسأل الله منه الفكاك؛ فـ "إذا كنت أيها الإنسان جامعًا لمعاني الأكوان فلا تحتجب بك عنك فَتُهَان، بل افهم حقائق الفرقان ترتقي لحضرة العيان"[2] لذلك جُعل الخلق معراجًا وسلمًا إلى عالم الأمر، كما يقول أبو نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ): "وهناك عالم الخلق يلتفت منه إلى عالم الأمر

---

[1] – محمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفائي المالكي: قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نسخه: أحمد بن عبد الرحمن المسيري ١١٣٤هـ، قسم المخطوطات، فن: تصوف، رقم ١٢٧٨، لوحة:٤١

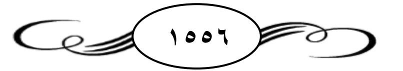
[2] – محمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفائي المالكي: قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، لوحة:٤١



ويأتونه كل فردًا .. لك أن تلحظ عالم الخلق فترى فيه أمارات الصنعة، ولك أن تعرض عنه وتلحظ عالم الوجود المحض وتعلم أنه لابد من وجود بالذات.. فإن اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل"[١] رغم أن الجميع خلق واحد، لكن الوجهة التي يسلكها الإنسان وتطغى على الأخرى هي التي يصل الإنسان بها إلى تحقيق غايته ونيل مبتغاه.

وقد صور نظام الدين النيسابوري (ت٨٥٠هـ) مهمة هذه الحقيقة الإنسانية المشتملة على الجانبين معًا في رحلة سلوك الإنسان، ومطلق وجوده بهذه العبارات الدقيقة: " الإنسان مركب من عالمي الأمر والخلق. له روح نوراني من عالم الأمر والملكوت، وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك، ولكل منهما نزاع وشوق إلى عالمه. فغاية بعثة الأنبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها وتحليتها بأنوار الأرواح. وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية وإليه الإشارة في قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} [البقرة: ٢٨٤] مودع من أنوار الأخلاق الروحانية في الظاهر بأعمال الشريعة في الباطن بأحوال الحقيقة، { أَوْ تُخْفُوهُ} [البقرة: ٢٨٤] بإبراز ظلمات الأوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة، وفي الباطن بموافقات الطبيعة {يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} بطهارة النفس لقبول أنوار الروح، أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس {فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ٢٨٤] فينور نفسه بأنوار الروح وروحه بأنوار الحق {وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} فيعاقب نفسه بنار دركات السعير

[١] – أبو نصر الفارابي: فصوص الحكم، ضمن المجموع في رسائل الفارابي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط:١، ١٩٠٧م، ص: ١٣٩



وروحه بنار فرقة العلي الكبير، { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} [البقرة: ٢٨٤] من إظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الأمر والخلق {قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤] "[١] وبهذه الصنعة المحكمة المشتملة على خصائص العالَمين، يتم التكليف، دون شائبة إجبار أو محض اختيار. والناج هو من يعرف إلى أي الجانبين يولي وجهه، وأي واحد منهما يكون قائدًا للآخر، مُسَيِّرًا له في رحلته، مضيئًا له محل قبلته، وعلى كلتا الحالتين فالطريق عسير يحتاج إلى مجاهدة، فقد يضل المرء الطريق تارة، ويعود أخرى ويتخبط ثالثة وينشغل رابعة.. وهكذا إلا أن ينجلي الحق ويعرف السالك أهل حيه، فيأوي إليهم مطمئنًا، وحينئذ تتحقق هدايته، رغم أنه لم يكن يومًا في نفس الأمر من الضالين. وأنشد الشيخ أبو المواهب الشاذلي (٨٨١هـ) في ذلك شعرًا:

ألا أيها العَانيّ برحلةِ جسمهِ   يدُور على الأكوانِ في تِيهِ حيرةٍ

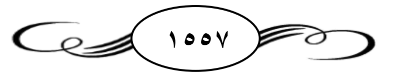
تَرَحل إلى جسم بذاتك يا فتى   فأنتَ هو المقصودُ من كل رحلةٍ[٢]

فقد يضل الإنسان طريق القبلة إلا أنه لا يترك صلاته، حيث لا يطيق الانقطاع، ولا تسقط عنه الفريضة، إلى أن يهديه الله إلى القبلة بأسباب ألسنة الشرع وأنوار النبوة؛ ولهذا فإنه مهما كانت وجهة الإنسان فمآله إلى مبدأه حيث تَحقُّقْ الغايات وحصول المقاصد: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥].

---

[١] – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١ ١٤١٦هـ، ٩٦/٢

[٢] – محمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفائي المالكي: قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، لوحة:٤١



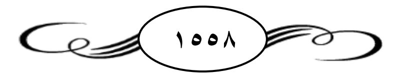
المبحث الثالث:

القرآن الكريم غير مخلوق

إن أهم مسألة نشأ بسببها التمييز بين عالمي الخلق والأمر هي مسألة كلام الله تعالى، وإثبات أنه غير مخلوق وغير حادث ولا يشبه كلام المخلوقين؛ ولذلك عُرِّف الأمر في قوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] بأنه: " كلامه الذي به تكون المخلوقات، فهو غير مخلوق، وصفة من صفاته، كعلمه وقدرته، لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يقدر فيه صوت ولا حروف؛ إنما هو كلام له صفة ذاته، فكما أنه تعالى لا شيء يشبهه، كذلك صفاته لا تشبهها صفة."[١] فالمقصود بأنه غير مخلوق أي أنه غير منتمٍ إلى عالم الخلق، الذي هو عالم المتغيرات المُحدَثَات. ولا يتنافى هذا المقصد مع كونه من صنع الله تبارك وتعالى؛ حيث اتضح مما سبق الفرق بين الخلق بمعنى الإيجاد أو التقدير وبين المراد بعالم الخلق بخصائصه التي منها التغير والزمانية.

والحقيقة أن الخوض في هذه المسألة لم يكن محمودًا في حد ذاته؛ لاستبعاد تحصيل كمال حقيقته عن المدركات الإنسانية، مثله مثل كل ما يتعلق بذات الله تعالى، مما لا يضر المسلم الجهل به. إلا أنه لما كثر

[١] أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط:١/١٤٢٩هـ، ٢٣٩٨/٤



الخوض فيها على عهد المأمون[١] بسبب ما كان يثيره بعض النصارى من الشبهات "وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي[٢] الذي كان يبث بين علماء النصارى في البلاد الإسلامية طرق المناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم.. فقد جاء في القرآن أن عيسى ابن مريم كلمته ألقاها إلى مريم، فكان يبث بين المسلمين أن كلمة الله قديمة، فيسألهم: أكلمته قديمة أم لا؟ فإن قالوا: لا، فقد قالوا إن كلامه مخلوق. وإن قالوا: قديمة، ادعى أن عيسى قديم. وعلى ذلك وجد من قال: إن القرآن الكريم مخلوق ليرد كيد هؤلاء"[٣] ولذلك كان مورد البحث في هذه المسألة متعلقًا بتحرير محل النزاع حول المراد من كل من القرآن ومن الخلق، مع عدم فصل الخلاف عن السياق التاريخي المُنتِج له، وعدم الخوض فيه من غير حاجة، كما هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)؛ حيث إنه قَبل المحنة كان يرى أن مثل هذه المسألة من المسائل التي لا داعي للخوض فيها، بيد أنه اضطر لبيانها لما اقتضت الحاجة إليها.

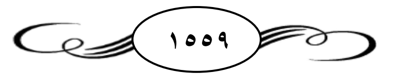
أما عن بيان المراد من "القرآن" في محل النزاع المذكور، فقد حرره بعض العلماء بما يُضَيِّق دائرة الخلاف التي اتسعت أطرافها ببُعد المتنازعين عن محله؛ حيث إن القرآن إذا أريد به الأصوات والأوراق والجلود وكل ما ألف من مادة أو فيها، فلا شك أنه مخلوق ومتفق على حدوث ما قام به من

---

١ – الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد المتوفى سنة ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م.

٢ – القديس يوحنا الدمشقي: آخر آباء الكنيسة الشرقية متوفى سنة ٧٤٤م.

٣ – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي– القاهرة، ص:٤٦٢



محال، سواء أكانت الحروف أو الأصوات أو الأوراق والجلود[1]، كما يقول فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) رادًا على المعتزلة في حججهم النقلية على حدوث القرآن: "فالجواب عنها شيء واحد، وهو أن تصرف كل تلك الوجوه إلى هذه الحروف والأصوات، فكانت الدلائل التي ذكروها دالة على حدوث هذه الحروف والأصوات، ونحن لا ننازع في ذلك."[2] فإذا أطلق الحدوث فلا ينصرف إلا إلى ما هو مادي كما يقول ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) مفصلًا للمخلوق من المشتركات الخمسة للفظ القرآن: "وأما المصحف فإنما هو ورق من جلود الحيوان ومركب منها من مداد مؤلف من صمغ[3] وزاج[4] وعفص[1]

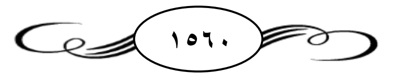
---

[1] – قد نهى العلماء عن أن يقال: "القرآن حادث" مع اعترافهم بكون الألفاظ المتلوة والكتابة حادثة؛ ولذلك يقول الإمام البيجوري: "ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثًا لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم؛ لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضًا، لكن مجازًا على الأرجح، فربما يتوهم من إطلاق أن القرآن حادث أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة؛ ولذلك ضُرِب الإمام أحمد بن حنبل وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرضى." حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢٠٠٢/١م ص:١٣٠

[2] – خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت، ط:١٩٩٢/١، ص:٧٠

٣ – الصَمْغُ: واحد صُموغِ الأشجار، وأنواعُه كثيرة، وأمَّا الذي يقال له الصَمغ العربيّ فصَمْغُ الطلح، والقطعة منه صَمْغَةٌ. صَمْغ الشّجر: مَعْرُوف، وَهُوَ مَا قطر مِنْهُ من اللِّثَى. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤/ ١٣٢٣

٤ – الزاج: هو مركب كيمياوي من معادن عدة تشمل الحديد والنحاس والزنك، وغيرها. يستعمل الزاج في تصنيع المعادن والخلائط والأسلاك المعدنية والمواد اللاصقة والحبر وتثبيت الألوان ودبغ الجلود. انظر: الموسوعة العربية الرقمية http://arab-ency.com.sy/ency/details/٦١١٣



وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد في خطه، وحركة اللسان في قراءته، واستقرار كل ذلك في النفوس هذه كلها أعراض مخلوقة. وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة لله، وهو مخلوق بلا شك قال الله تعالى: {بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ} [آل عمران: ٤٥]"[٢] فكل ما تمثل في مادة ومدة فهو من عالم الخلق لا محالة، بحيث تجرى عليه قوانينه وتلحقه لوازمه.

أما إذا أريد به كلام الله تعالى النفسي فهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء تتعلق بالأحكام الثلاثة: الواجب والممكن والممتنع، فهي من صفات الذات.[٣] وإنما تُعَارَض دعوى من يزعم أن الكلام النفسي بهذا الاعتبار لا يختلف عن العلم، بجهة التعلق[٤]؛ حيث يتعلق العلم بالأحكام العقلية الثلاثة تعلق تنجيزي

---

١ – العَفْص: حَمْل شَجَرَة البَلُّوط، يحمل سَنَة بَلُّوطاً وَسنة عَفْصاً. وَجَاء حَدِيث اللُّقَطة عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: (احفظ عِفَاصَها ووِكاءها) قَالَ أَبُو عبيد: العِفَاص: هُوَ الوِعاء الَّذِي تكون فِيهِ النفَقة إِن كَانَ من جلد أَو خرقَة أَو غير ذَلِك. تهذيب اللغة ٢/ ٢٧

٢ – أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة، ٦/٣

٣ – انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص: ١٣٠، سيف الدين الآمدي: أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية بالقاهرة، ط:٢/٢٠٠٤م ١/٣٥٣

٤ – التعلق: اقتضاء الصفة لذاتها منسوبًا لها لا يفيد مقارنة وجودها لوجوده، وهو نفسي ذاتي لا يتخلف ولا يُعَلل. وهو على قسمين: صلوحي أو صلاحي: إن لم يكن المنسوب للصفة موجودًا في الخارج. وإلا فتنجيزي: إن كان موجودًا. انظر: نور الدين زاده المعروف بأبي عذبة: نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات، تحقيق وتقديم: سعيد فودة، دار الذخائر – بيروت ص: ٤٠، الشيخ عبد الغني النابلسي: رائحة الجنة



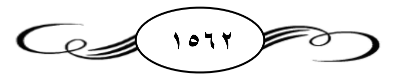
قديم، بينما تعلق الكلام بالواجبات والمستحيلات فتنجيزي قديم، وتعلقه بالنسبة للممكنات من أفعال المكلفين وغيرها فصلوحي قديم وتنجيزي حادث، وقد استدل على ذلك فخر الدين الرازي بما ثبت بالتواتر: "من جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، أنه تعالى أمر عباده بكذا، ونهاهم عن كذا، وأخبرهم بكذا، ولما ثبت بالمعجزات صدق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وجب القطع بكونه تعالى آمرًا وناهيًا ومخبرًا.. فثبت أن مدلول هذه العبارات – الأمر والنهي والخبر – في حق الله تعالى معنى وراء الاعتقادات والإرادات. فثبت أنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي هو مدلول قوله: "افعل" وأنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي هو مدلول قوله: "الحمد لله" وهو مغاير لعلمه. ونحن نسمي ذلك المعنى بالأمر الحقيقي والخبر الحقيقي."[١]

وعلى هذا يكون القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى الأزلي من عالم الأمر، وليس هو المعاني النفسية فقط، بل دلالاته المعجزة الباقية، وهو بهذا المعنى غير مخلوق، وغير منتسب إلى عالم الخلق. ويدل على هذا ما ورد في الرسالة التي كتبها الإمام أحمد بن حنبل إلى المتوكل عندما سأله عن قوله بعدم خلق القرآن: "قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] وقال تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] فأخبر بالخلق ثم قال: والأمر، فأخبر أن الأمر غير الخلق."[٢] فالتمييز بين عالمي الخلق والأمر وانتساب القرآن الذي هو كلام

شرح إضاءة الدُجُنة في عقائد أهل السنة للحافظ شهاب الدين أبي العباس المقري، دار الكتب العلمية بيروت ص:٧٤

[١] – خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة ص: ٦١

[٢] – نقلًا عن: الشيخ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية. ص: ٤٦٨



الله تعالى إلى الأمر هو السند المعتمد عليه في وصفه بأنه غير مخلوق، ولذلك يعقب الشيخ أبو زهرة على مقولة الإمام أحمد بن حنبل: "وكأنه يشير بالفرق بين الخلق والأمر بأن القرآن من أمر الله تعالى وكلامه وعلمه، لا من خلقه، وعلى هذا لا يعد مخلوقًا في نظره."[1] ولهذا ارتبطت مسألة خلق القرآن بالتمايز بين العالمين مفهومًا وخصائص.

ويبقى في محور النزاع تصور التعارض ما بين الخلق والإيجاد الوارد من وصف القرآن بأنه غير مخلوق، وهو منشأ التعارض بتعدد القدماء، وبغيره من الشُبَه المترتبة على التمايز الذهني والفعلي ما بين الخلق والإيجاد؛ حيث يفهم من عبارة: "غير مخلوق" خروجه عن الوجود الممكن المفتقر إلى موجد. وقد صور الإمام فخر الدين الرازي هذا الالتباس الحاصل وما يترتب عليه من أمور باطلة بقوله: " قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ٩] وقال: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] إلى غير ذلك، وما لم يكن ذكره بلفظ الأمر قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] وقال: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥] .. والملائكة كالأرواح من عالم الأمر أوجدهم من غير مرور زمان فقوله وما خلقت إشارة إلى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة، وهو باطل لقوله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [غافر: ٦٢]"[2] ليتم بذلك التفريق ما بين الخلق

---

[1] – المرجع السابق ص: ٤٦٨

[2] – تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ١٩٢/٢٨



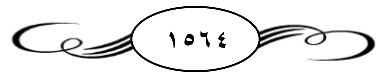
بمعنى التقدير والتسوية، والجعل بمعنى الإنشاء والإيجاد، وكلاهما يشمله لفظ الإيجاد المعبر عنه في الاصطلاح العام بالخلق.

فللخلق معنى عام وهو الإبداع والتكوين والإنشاء، سواء كان من شيء أو من لا شيء. وله معنى خاص وهو التكوين أو إنشاء شيء من شيء، وهو الذي يكون متلبسًا بالمادة والمدة، ويختص بمرتبة عالم الخلق، دون عالم الأمر الذي يشمله الخلق بالمعنى العام فيصدق على ما يتحقق وجوده بلا مادة ولا زمان. وعلى ذلك فقد كثر استعمال الجعل بدل الخلق فيما هو من عالم الأمر رغم اشتراك اللفظين في معنى الإيجاد: " فإنه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الأمر ذكره بالجعلية لامتياز الأمر عن الخلق كما قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ} فالسموات والأرض لما كانتا من الأجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية.. فكذلك لما أخبر الله تعالى عن آدم بما يتعلق بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال: {إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ} ولما أخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال: {إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}"[1] وعلى ذلك تتمايز الماصدقات بتمايز مفاهيمها وتُرَد المعارضة المذكورة.

وبهذا يتم إدراك حقيقة أن القرآن الكريم بوصفه كلام الله الأزلي من عالم الأمر غير مخلوق ولا حادث. وباعتبار نزوله وتصوره بالحروف وانتقاشه في الصحف فهو من عالم الخلق، مع التسليم بعدم تنافي المعنيين أو انفصال العالمين – كما سبق بيانه.

---

[1] – أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: روح البيان، دار الفكر– بيروت، ٩٥/١

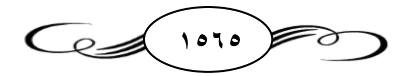


المبحث الرابع:

إمكان المعجزات وخوارق العادات

إن الحديث عن المعجزات في الفكر الإسلامي لا ينفك عن تصور القدرة الإلهية وحكمة رب العالمين في إعلامنا بتعلقها بالممكنات العقلية، فحينما يمد الله عز وجل العقول بما يساعدها على التصديق بالنبوة يُظهر على أيدي أنبيائه أفعالًا أو أقوالًا خارقة لما اعتاده الناس وألفته حواسهم من سريان القوانين الطبيعية في العالم المشاهد المحسوس. والحقيقة المقررة لدى العلماء المسلمين أن هذه الأفعال ليست خارقة لضوابط العقل أو متصادمة معه، بل هي داخلة تحت حكم الإمكان العقلي؛ فتظهر منبهة للمدارك الإنسانية إلى سعة عالم الممكنات. ولهذا كان علماء الكلام في غاية الدقة في حديثهم عن تعلق القدرة بالممكنات، معللين ذلك بانتفاء تعلقها بالمستحيل أو الواجب لما يترتب عليه من انقلاب الحقائق واختلاف المفاهيم لكل منهما.

فالمعجزات والخوارق التي يظهرها الله على يد من يصطفيهم من عباده هي إشارة إلى اتساع الأفق المعرفي للإنسان في محيط العالم الممكن. هذه السعة الفكرية هي التي فتحت أفاقًا للتجدد والتقدم العلمي على مر العصور اعتمادًا على ملاحظة مقياس اطراد السنن الكونية في العالم الطبيعي. وهذا مفتاح لحل كثير من الإشكالات العقدية التي تُبْنَى بشكل أساس على فرض الانفصال بين الفعل الإلهي وانطباع الأشياء بخواصها التي يسير بها هذا العالم وفق قوانين نظمها الخالق عز وجل؛ فمن ينظر إلى العالم منفصلًا عن القدرة الإلهية ووحدة الفعل الإلهي، ويعطي للطبائع والأفعال الحادثة مطلق السلطة ومركزية التصرف، لا يدع مجالًا لعقله لأن يقبل شيئًا من



الخوارق؛ لثقته الكاملة في الأسباب واطرادها الذي يظنه عِليًا لا يتخلف. الأمر الذي يختلف بشكل ظاهر عند من يعطي للفعل الإنساني وصفه الذاتي غير منفصل عن قاعدة وحدة الفعل الإلهي، أو ما عرف لدى الأشاعرة من علماء الكلام بقاعدة: "لا مؤثر في الوجود إلا الله". فمن يتسع عقله لهذه الرؤية الدينية لا يبذل جهدًا كبيرًا في قبول الخوارق عند ارتباطها بالقدرة الإلهية، لأنه يميز جيدًا بين الفعل الإلهي والتأثير الطبيعي في الوجود، فيثبت وينفي من جانبين مختلفين ليس واحدٌ منهما مبطلًا للآخر، كما يفهم من قوله عز وجل: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧].

هذه الرؤية المترابطة القائمة على النظر في الوجود بعيني الإيمان والعقل معًا تُجلي حقيقة الترابط بين الخوارق والأمر الإلهي؛ فقوانين عالم الخلق رغم ثباتها، إلا أنها لا تُرى منفصلة عن عالم الأمر وعن القدرة الإلهية. حيث لا يحتمل ميزان عالم الخلق خوارق العادات دون أن تضبط كفتاه بلسان عالم الأمر؛ لأن الله عز وجل الذي نظم هذا الوجود ومنح الإنسان ثقة بقوانينه، ليتمكن من العيش فيه وتحصيل مسبباته، لم يكن ليخرق هذه القوانين من طريق العقل، وإلا لسادت فوضى الشك وعدم ثبات الحقائق. لكن الخالق سبحانه وتعالى علق المعجزة بالأمر مع جعل نطاق الممكن العقلي يسع ما يرد إليه من عالم الأمر دفعة أو تدريجًا. فمن يربط المعجزة بحيز إمكانه حسب ما اعتاده من سريان قوانين عالم الخلق فإنه ما عرف القدرة الإلهية، ولا أعطى لها قدرها العقلي والديني: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

[الأنعام:٩١] ومن هذه الوجهة يذكر شلايرماخر[1] Schleiermacher أن: "المعجزة لا تكون خارقة للطبيعة، بل تكون خارقة لما نعرفه عن الطبيعة.. لأن الله لا يفعل شيئًا ضد الطبيعة، ولا ينقض القوانين التي رتبها"[2] فمن هذا المنظور لا تعد المعجزة نقضًا لقوانين الطبيعة، بل هي استيعاب لسعة مجال الإمكان العقلي المرتبط بالقدرة الإلهية.

فتصور النار التي من طبعها الإحراق ألا تحرق لا يتأتى – بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع – إلا من أحد طريقين:

الأول: أن يدرك المعتَقِد أن الذي رتب الأسباب بهذا الشكل المعتاد لنا لتحقيق مصالحنا وغاية وجودنا هو القادر على فك هذا الترابط العادي بمجرد توجيه الأمر إليه بواسطة أو بدونها. والعقل آنذاك غير منكر لذلك لأن هذا الترابط الحاصل ليس هو منشئه، بيد أنه لتعلقه بالحواس قد تعتريه دهشة تؤدي إلى تأخر التصديق لكنها لا تنفيه.

أما الطريق الثاني: فهو مسلك من يعتقد أن الله لا ينقض القوانين التي نظم بها الوجود، وإلا سادته فوضى تخلف الأسباب، وانعدمت الثقة

١ – فريدريك دانيال إرنست شلايرماخر Schleiermacher: فيلسوف لاهوتي رومانسي ألماني. ترجم أثار أفلاطون، وقدم لها بمقدمة كان لها دوي فلسفي كبير، أخذ لقب: "أستاذ فوق العادة" للاهوت في جامعة هال، وله دور كبير في مجال علم التأويل الحديث. من مؤلفاته: الإيمان المسيحي طبقًا لمبادئ الكنيسة الإنجيلية، والجدل، والأخلاق الفلسفية، ودروس في علم الجمال، ونشرت له مراسلاته في أربعة مجلدات. وأصبح اسمه يهيمن هيمنة تامة على اللاهوت البروتستانتي في القرن التاسع عشر. توفى عام ١٨٣٤م. انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة – بيروت، ط:٣/٢٠٠٦، ص: ٣٩٦-٣٩٧

٢ – نقلًا عن: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية ص:٤٣

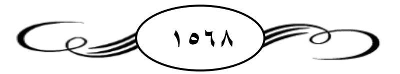


بالثوابت. فصاحب هذه الوجهة لا يجد في وقوع المعجزات مجرد خرق للعادات والسنن الكونية، إذ هي في حقيقة تصوره أسباب وعلل وليست مجرد "عادات" بالتعبير الكلامي. فلا يجد بابًا للتسليم بما ورد من المعجزات من طريق لا يقبل الشك إلا أن يرجع إلى ذات الأسباب فيحكم بتغير طبائعها بالقدر الذي يحدث به الأثر المقدر حسب قوانين الطبيعة، ولا يتم ذلك ايضًا إلا بأمر إلهي؛ إذ الأسباب لا تملك بذاتها القدرة على التبدل. فالنار التي لا يقع بها الإحراق مع تحقق أسبابها، لا تكون آنذاك نارًا، ولكنها تصير بالأمر الإلهي بردًا وسلامًا، فتخرج من طبيعتها المحرقة إلى طبيعة أخرى لا يحدث بها الإحراق: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا} [الأنبياء: ٦٩] ويقاس على ذلك جميع الآثار الخارقة للطبيعة من الأجسام التي لا تنتج آثارها المنطبعة فيها، فما هي إلا استجابة وطاعة لتأثير القوة الموجودة في السبب المؤثر فتنفعل عنه المحسوسات التي هي من أجزاء هذا العالم. ومن الملاحظ أن الطريقين إنما يحصلان بـ "الأمر" الإلهي، مع اتحاد نتيجتهما، وهي حصول التصديق بالمعجزات والخوارق. ولهذا نجد تعليل أبي بكر الصديق لاندهاش الناس لسرعة تصديقه الخالي من طلب الدليل لإسراء الرسول صلى الله عليه وسلم: "إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة"[1] فمنشأ الاستغناء عن الدليل هو رؤية الآثار من جهة عالم الأمر.

هذا بالنسبة للمعجزات الحسية وخوارق العادات المرتبطة بقوانين عالم الخلق والداخلة في سعة حكم الإمكان العقلي. فهي ملزمة لمن يشاهدها

---

[1] – شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر، ٥/٥٠٥



لاعتمادها على خرق عادات طبيعية في إطار حدود الزمان والمكان، ومن لم يشاهدها يصدق بوقوعها في زمان مضى عن طريق الخبر الصادق. أما القرآن الكريم هذه المعجزة الخالدة فينتمي – كما سبق – إلى عالم الأمر فهو غير محدود بمعايير عالم الخلق من الزمانية والمكانية. وبما أنه لا يمكن لعقل محدود حصر دلالات شيء من عالم الأمر يبقى هذا الكتاب معجزًا خارج حدود الزمان والمكان.

بهذا يتضح الفرق بين التصور الفلسفي المجرد الذي يعطي كامل ثقته بالأسباب وتأثيراتها، وبين التصور الديني الفلسفي الذي يربط بين تأثير الفاعل الحقيقي في الوجود وبين ثبات قوانين عالم الخلق. فالروح التي هي من عالم الأمر إذا قوي جانبها وتعلقها بعالمها بطبع يجبلها الله عليه في ذوات الأنبياء، أطاعتهم ممكنات عالم الخلق بأمر الله فيها، فلا يقع العجب إلا من قِبَل الناظر من جهة عالم الخلق، في حين لا يملك الناظر من صوب عالم الأمر إلا أن يحكم بالإمكان الذي يرتفع معه التعجب أو الاندهاش. هذا ما جعل امرأة إبراهيم عليه السلام تعجب عند بشارة الملائكة لها بالولد: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: ٧٢] فكان الجواب الإلهي برفع المقيس عليه من سنن عالم الخلق إلى سعة قدرة الخالق المتعلقة بعالم الأمر: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود: ٧٣] فهي: "لم تتعجب من قدرة الله أنه قادر على أن يهب الولد في كل وقت؛ ولكنها تعجبت لما رأت العادة في النساء والرجال أنهم إذا بلغوا المبلغ الذي كانوا هم لم يلدوا؛ فتعجبها أنها تلد في الحال التي هي عليها، أو يُردَّان إلى حال الشباب؛ فعند ذلك يولد لهما، وكلاهما عجيب

بحيث الخروج على خلاف العادة، لا بحيث قدرة الرب"[1] وهو نفس مورد الاستفهام التعجبي من مريم عليها السلام حيث: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} [آل عمران: ٤٧] ليرد الجواب الإلهي بتوجيه نظرها إلى جانب القدرة وتحقق الأمر الإلهي الذي لا يتطلب مدة أو أسبابًا: { قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٤٧]؛ "ذلك لأن الآية في خَلْق عيسى عليه السلام مخالفة للنواميس كلها، وخارقة للعادة التي أَلِفها الناس، فإياك أنْ تتعجب من فِعْل الله تعالى في يحيى، حيث جاء به مع عطب الآلات، أو تتعجب من خَلْق عيسى حيث جاء به مع نقص الآلات. وإياك أنْ تتعَجَّب من كلام عيسى وهو في المهد صَبِيًا، فهي أمور نعم خارقة للعادة وللنواميس، فخُذْها في إطار (سبحانه) وتنزيهًا له؛ لأنه تعالى إذا أراد شيئًا لا يعالجه بعمل ومُزاولة، وإنما يعالجه (بكُنْ) فيكون."[2] فالمعجزات لحدوثها في العالم الممكن تخرق ما اعتاد عليه الإنسان من سريان الأشياء حسب القوانين المألوفة في العالم الطبيعي، وليست خرقًا للعقل ولا لسعة الإمكان.

ولهذا نجد لدى الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي وابن سينا تأكيدًا على قوة ارتباط نفس النبي بالعالم العلوي، وقوة تأثيرها – بما لها من هذا الاتصال – في عناصر العالم: "فأما السبب في معرفة الكائنات فاتصال النفس الإنسانية بنفوس الأجرام السماوية.. وأن هذه الأنفس في الأكثر إنما تتصل بها من جهة مجانسة بينهما."[3] ولهذا يجعل ابن سينا هذا التأثير أحد

[1] – تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ٦/ ١٥٧

[2] – محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم ١٥/ ٩٠٨٢

[3] – ابن سينا: المبدأ والمعاد، ص:١١٧



خواص نفس النبي لما لها من قوة اتصال بعالم الأمر: "وأما الخاصية الثالثة التي لنفس النبي فهو تغييرها الطبيعة."[1] وذلك بسر الأمر الإلهي الذي يتأتى للنبي من جهة عالم الأمر. لكن لما كان ما من عالم الأمر لا يتجلى إلا برداء الممكنات صُوِر هذا التأثير كأنه من نفس النبي؛ حتى لا تتخلف الأسباب وتضطرب قوانين الوجود الممكن.

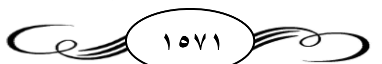
وقوة اتصال الأنبياء بعالم الأمر هي التي سماها الفارابي بـ: "القوة القدسية" حيث يصف وقوع المعجزة بقوله: "النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر، كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر، فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات، ولا تصدأ مرآتها، ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل"[2]

ولما تقرر من اتصال بين عالمي الأمر والخلق، فإنه قد حصل لكل إنسان قوى ثلاثة باجتماعها وترابطها تتحقق له الخلافة والتكليف، وهي: القوة النظرية، والقوة المتخيلة، والقوة الحساسة. ولكل واحدة منها مناسبة لعالم الأمر تختلف باختلاف قوة التعلق أو ضعفه. هذا في النفوس العادية، أما بالنسبة للأنبياء فلهذه القوى الثلاثة وصف الكمال، الذي يحصل بمحض فضل إلهي واختيار رباني لا يكون إلا لهم، ليتم أمر الله في تحقيق الكمال الكلي بتبليغ رسالته، والتحقق من معرفته وعبادته. ولهذا يذكر العرفاء من أهل سلوك طريقي الكشف والنظر أن أصول المعجزات إنما هي من كمال تلك القوى الثلاث:

---

[1] – – ابن سينا: المبدأ والمعاد، ص:١٣٠

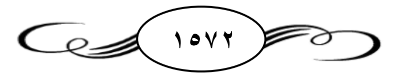
[2] – أبو نصر الفارابي: فصوص الحكم ضمن مجموع رسائل الفارابي ص: ١٤٥-١٤٦



١. **فكمال القوة النظرية:** يكون بأن "تصفو النفس صفاءً تكون شديدة الشبه بالعقل، لتتصل به من غير كثير تفكر وتأمل، حتى تفيض عليها العلوم من غير توسط تعليم بشري، بل يكاد أرض نفسه الناطقة تشرق بنور ربها، وزيت عقله المنفعل لغاية الاستعداد يضيء بنور العقل الفعال الذي ليس هو بخارج عن حقيقة ذاته، وإن لم تمسسه نار التعليم البشري."[١] فيتلقى النبي العلم الإلهي، وتستقبل نفسه الوحي بسماع ودرك الكلام الإلهي؛ ولذلك لم تكن نفس خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كسائر النفوس ليخشى عليها من التفلت أو الشتات للوحي حين تلقيه، بل اختصت بعين العناية الإلهية التي منها يتأتى مورد الاطمئنان في موطن الاستقبال: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: ١٦، ١٧] فاستمع يا محمد بقوة نفسك العلية، ولا تقس نفسك بمقاييس النفوس العادية فيحصل القلق، فما عليك سوى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: ١٨، ١٩].

ومن هذه الجهة انتفى الخلق عن القرآن الكريم بوصفه هذا الكلام الإلهي المعجز، المنتمي في أصله ومعناه إلى عالم الأمر "ولهذا كان أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن، وهو مشتمل على المعارف الإلهية وحقائق المبدأ والمعاد على أوجه عجز عن دركها إلا الأقلين من العلماء الراسخين من أمته وفيه الإخبار عن المغيبات والأفعال الخارقة للعادات، إلا أن نفسه من المعجزات العقلية التي كلّت أذهان العقلاء عن

[١] – صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: المبدأ والمعاد، تحقيق: هادي رستكار مقدم الجوهري، ط:١، ص: ٦٧٣–٦٧٤



دركها وخرست ألسن الفصحاء عن وصفها"[1] بل هو أعظم المعجزات على الإطلاق لما له من الديمومة والاستمرار.

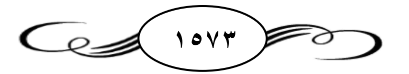
٢. **وأما القوة المتخيلة:** فبمجرد حصولها في نفس كل إنسان يتمكن من انكشاف شيء مما في عالم الأمر. أما وقد تحقق للأنبياء كمال هذه القوة، فلا يتكلف العاقل طرقًا عثيرة للاستدلال على إمكان الوحي، وحصول رؤية نفس الأنبياء دون غيرهم لكل ما هو أمري، كالملائكة وغيرها. فالحكم بالإمكان يأتي عن طريق إدراك كمال هذه القوة "بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب.. فيشاهد الصور الجميلة والأصوات الحسنة المنظومة على الوجه الجزئي.. فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف بأحد الوجهين صورة عجيبة في عالم الحس.. وهذا أيضا ممكن غير مستحيل"[2] فالعقل في هذا المقام ليس بحاجة إلا إلى الحكم بالإمكان ونفي الاستحالة، وهذا باب واسع منفتح على مقام التصديق.

٣. **ويأتي دور القوة الحاسة:** التي بكمالها تنفعل جزئيات هذا العالم بقوى عالم الأمر الحاصلة في قوة نفس النبي من جهة جزئها العملي، فتتحقق المعجزات الحسية في صورة نفس النبي وبحقيقة الأمر الإلهي الذي لا تملك القوابل في تحققه إلا الطاعة، فتكون بمجرد توجيه الأمر إليها: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] فتحصل المعجزات والخوارق الحسية من جهة كمال هذه القوة، فتؤثر "في هيولى العالم بإزالة صورة ونزعها عن

---

[1] - صدر الدين الشيرازي: المبدأ والمعاد ص:٧٦٨

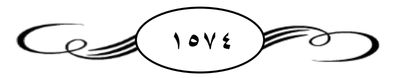
[2] - المصدر السابق ص: ٧٦٥



المادة، وبإيجادها وكسوتها إياها.. وعكوس منها"[1] ومن هنا ندرك دقة تعبير الأشاعرة من علماء الكلام في تعريفهم للمعجزة بالأمر الخارق للعادة، وليس خارقًا للأسباب ولا للعقل.

فالحكم بإمكان المعجزات وخوارق العادات إنما يثبت من التمييز بين خواص عالمي الأمر والخلق، مع عدم تصورهما منفصلين تحققًا ووجودًا. فإذا قيس عالم الأمر بالمقاييس الخَلقية تعذر على العقل قبول الخوارق، بخلاف ما إذا كانت جهة الإدراك هي معرفة خصائص الأمر وقوانين عالمه التي لا تخضع للأسباب الحسية.

[1] - المصدر نفسه ص:٧٦٥ - ٧٦٦

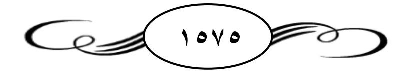


الخـــاتمـة

لازال عالم الغيب أو ما وراء الطبيعي مجالًا خصبًا للعقول لتجول فيه عبر سفينة الإمكان مستضيئة بنور الهَدي الإلهي الذي هو فضل منه سبحانه {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [المائدة: ٥٤]. ومن سعة علم الخالق الحكيم أن فتح لهذا الوجود الحادث بابًا إلى عالم الملكوت وخزائن الأمر الذي لا تحيط بكنهه العلوم مادامت في عالم الملك متلبسة بالرسوم، منعوتة بالقلة والندور: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥] فمن الجود الإلهي الذي يتنزل إلى عالم الخلق {بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر: ٢١]، مناسبة لحاله ومراعاةً لمقدور ذاته، تلك النفحات النورانية التي يستأنس بها الإنسان من خلال إدراك ما بينه وبين عالم الأمر من صلة تعينه على الخلاص من قيود قضبان التعلق بالأبدان، أو على الأقل للنظر من بين قضبانها مشتاقًا منتظرًا الفكاك مبتغيًا الوصال.

هذه النظرة الكلية المترابطة لعالمي الخلق والأمر تمنح الإنسان الفرصة لإدراك حقيقة ذاته، وأنه ليس مجرد بدن يبدأ ثم يعود، بل هو كائن مكرم مفضل على سائر المخلوقات بتصوره في حيز عالم الخلق، وارتباطه مبدءًا وعودًا بعالم الأمر، فيصبح التحقق له مطلبًا، والوصال له غاية. وقد حاولت خلال هذه الورقات أن ألقي الضوء على حقيقة العالمين، لتتبين حقيقة الصلة بينهما عند من يرى تمايزهما مفهومًا وتحققًا، وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها:

أولًا: أن في تمييز القرآن الكريم بين الخلق والأمر، وتخصيص الأمر في كثير من الآيات بما لا يتعلق بالمحسوس، وما ينشأ في غير زمان وبغير تراتب نشأة المخلوقات التي من عالم الحس فيه إشارة إلى



اختلاف المفهومين مما كان داعيًا لتوجيه النظر إليهما من الناحية الوجودية، سيما مع تركيز الكثير من الرؤى الفلسفية على ذلك.

ثانيًا: لا يمكن تصور انفصال تام بين عالمي الخلق والأمر، مع ضرورة التسليم بغياب الثاني عن المدركات الحسية، رغم إمكان السريان منها إليه بمعونة الروح التي هي من عالمه.

ثالثًا: أن التصور الكلي للوجود وانقسامه إلى خلق وأمر يحقق الرؤية القرآنية التي تبين مكانة الإنسان في الحياة الدنيا ومهمته فيها، وتؤصل لفكرة الحدوث التي هي مبدأ الإيمان بوجود الخالق سبحانه وتعالى، وتعلق الأكوان به وافتقارها إليه في مبدأها وحياتها ومعادها.

رابعًا: أن التصور الفلسفي يلتقي مع الرؤية الدينية في هذا المنهج لفهم حقيقة جهاد النفس في مقاومة الانجذاب للماديات والانصياع لأمر الله في مقابلة الهوى رغبة لنيل مقصود أعظم من كل تصوراتها في حيز المحسوسات، ولهذا أرسل الله الرسل للتعليم والتزكية معًا.

خامسًا: بإدراك التمايز الوجودي بين عالمي الخلق والأمر تنحل أكبر مشكلة دار حولها الخلاف في تاريخ الفكر الكلامي، وهي مسألة وصف الكلام الإلهي بالحدوث أو بالقدم، وما يترتب على كل رؤية من نتائج غير مرضية لأصحاب الرؤية المقابلة.

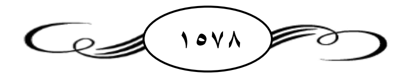
سادسًا: إن الحكم بإمكان المعجزات وخوارق العادات إنما يثبت من التمييز بين خواص عالمي الأمر والخلق؛ ذلك لأن لكل عالم ميزانه الذي يحتمل مقدماته وأقيسته.

وفي هذا البحث تفصيل لكل واحدة من هذه النتائج حسب ما مَنَّ الله به وفتح، فإن كان من صواب فمن فضله وواسع جوده، وإن كان من تقصير فأسأله سبحانه العفو والغفران.

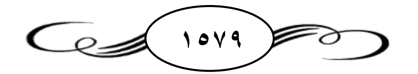
والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في المبدأ والختام

ثبت المصادر والمراجع

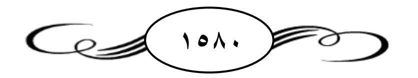
- القرآن الكريم
- إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ط ١٤٠٥
- إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط:١/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م
- إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١/٢٠٠٢م
- أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت
- أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١/١٤٢٣هـ
- أبو السعود العمادي: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- أبو العباس أحمد بن محمد عجيبة الحسني الصوفي: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ



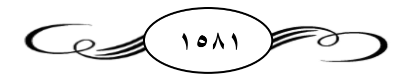
- أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: روح البيان، دار الفكر – بيروت، ٩٥/١
- أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١-١٩٩٨م
- أبو بكر محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العملية، بيروت
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: المبدأ والمعاد، باهتمام: عبد الله نوراني
- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيرت، ط١، ١٤٢٢ هـ
- أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة
- أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط:١/١٤٢٩هـ



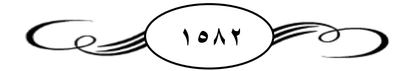
- أبو منصور الماتريدي: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١/٢٠٠٥م
- أبو نصر الفارابي: فصوص الحكم، ضمن المجموع في رسائل الفارابي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط:١، ١٩٠٧م
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:١/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت
- تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: مجلس في الخلق والأمر، المجلس ملقى ومدون بالفارسية، تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد علي آذرشب، معتمدًا على النسخة المحققة للدكتور سيد محمد رضا جلالي نائيني، والمجلس ملحق بكتاب: تفسير الشهرستاني المسمى: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، ط١/٢٠٠٨م
- تقيّ الدين، الدقيقي المصري: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار – الأردن، ط١–١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
- جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط:٣– ١٤١٤هـ



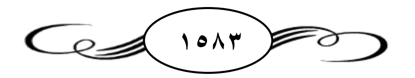
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان
- الحسين بن مسعود البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١/١٤٢٠هـ
- ديوان الإمام علي رضي الله عنه، جمعه وضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت
- السيد الشريف الجرجاني: شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
- سيف الدين الآمدي: أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: د/ أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية بالقاهرة، ط:٢/٢٠٠٤م
- شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢/١٩٦٤
- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر
- صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: أسرار الآيات، مقدمة وتصحيح: محمد خواجوي، طهران
- صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: المبدأ والمعاد، تحقيق: هادي رستكار مقدم الجوهري، ط:٢



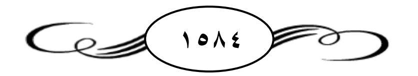
- صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط:٣/١٩٩٠م
- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (الشيخ): رائحة الجنة شرح إضاءة الدُجُنة في عقائد أهل السنة للحافظ شهاب الدين أبي العباس المقري، دار الكتب العلمية بيروت
- عبد الجبار حسين الظفري: العوالم المتوازية – فرضية الأكوان المتعددة، المركز اليمني لتكنولوجيا التعليم وتقنية المعلومات
- فخر الدين الرازي: خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت، ط:١/١٩٩٢
- فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة
- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣– ١٤٢٠هـ
- قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي: نهاية الادراك في دراية الافلاك في الهيئة
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨– ٢٠٠٥م
- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي– القاهرة



- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م
- محمد بن جرير بن يزيد الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١/ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م
- محمد بن علي الحنفي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط:١ – ١٩٩٦م.
- محمد بن علي الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ
- محمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفائي المالكي: قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق، مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نسخه: أحمد بن عبد الرحمن المسيري ١١٣٤هـ، قسم المخطوطات، فن: تصوف، رقم ١٢٧٨
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: الجفان والجابي – قبرص، ط:١/١٩٨٧م



- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): روضة الطالبين وعمدة السالكين، مجموع الرسائل، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية– القاهرة
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): كيمياء السعادة، مجموع الرسائل
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): معراج السالكين، مجموع الرسائل، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية– القاهرة
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد): الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق، عناية وتصحيح: عبد الله عبد الحميد عرواني، دار القلم دمشق، ط:١/ ٢٠٠٣م
- محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١٨هـ
- محمد حسين الطباطبائي: نهاية الحكمة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ
- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم
- محيي الدين بن عربي: فصوص الحِكَم، تعليق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي بيروت– لبنان
- مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية
- نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: تفسير السمرقندي – بحر العلوم



- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت ط:١ – ١٤١٦ هـ
- نور الدين زاده المعروف بأبي عذبة: نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات، تحقيق وتقديم: سعيد عبد اللطيف فودة، دار الذخائر – بيروت
- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر

محتويات البحث

